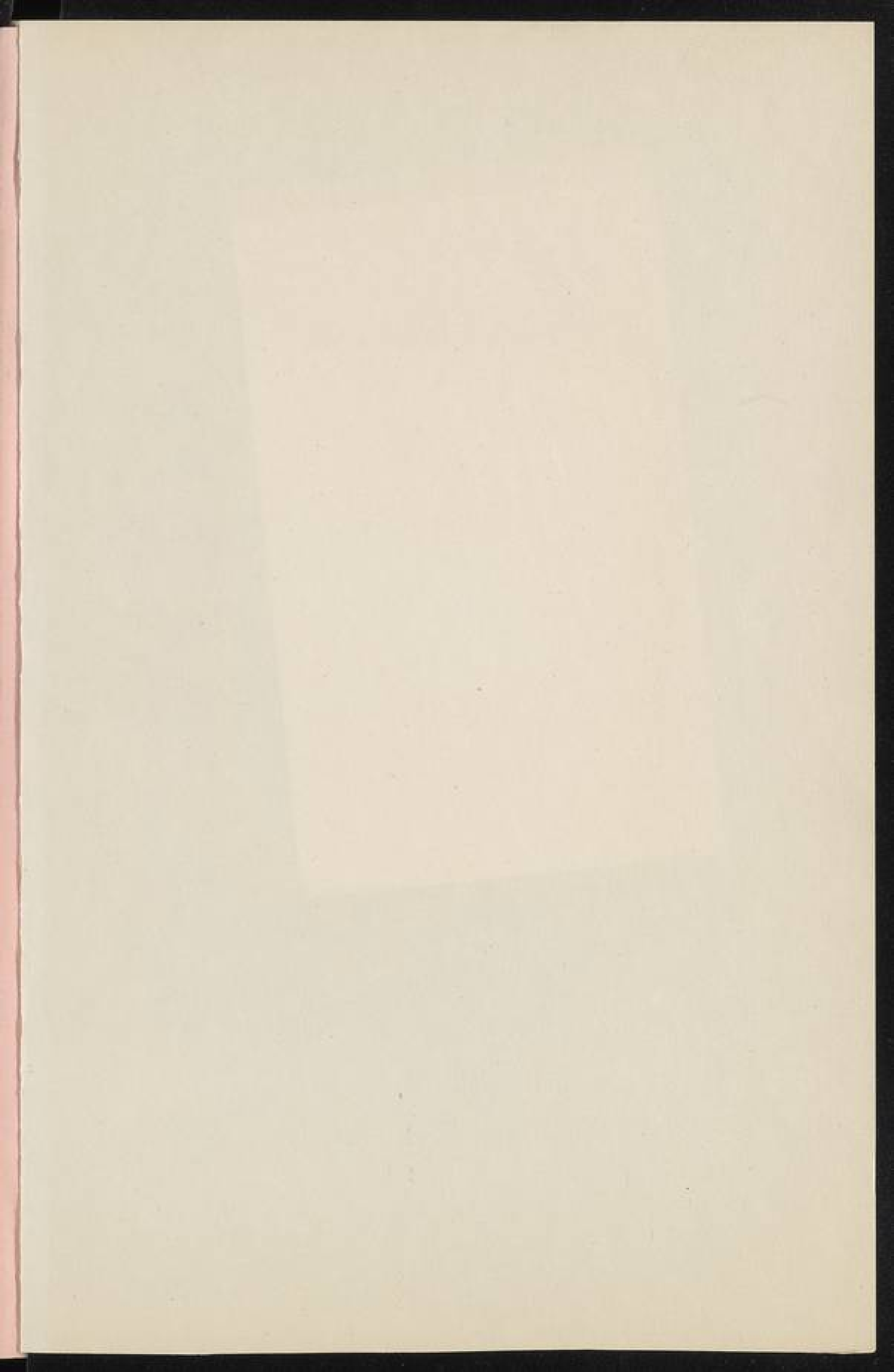




رسائل ابن المعتز

في النقد والأدب والاجتماع

جمعها وشرحها وعلق عليها

الأستاذ

محمد عبد المنعم خفاجي

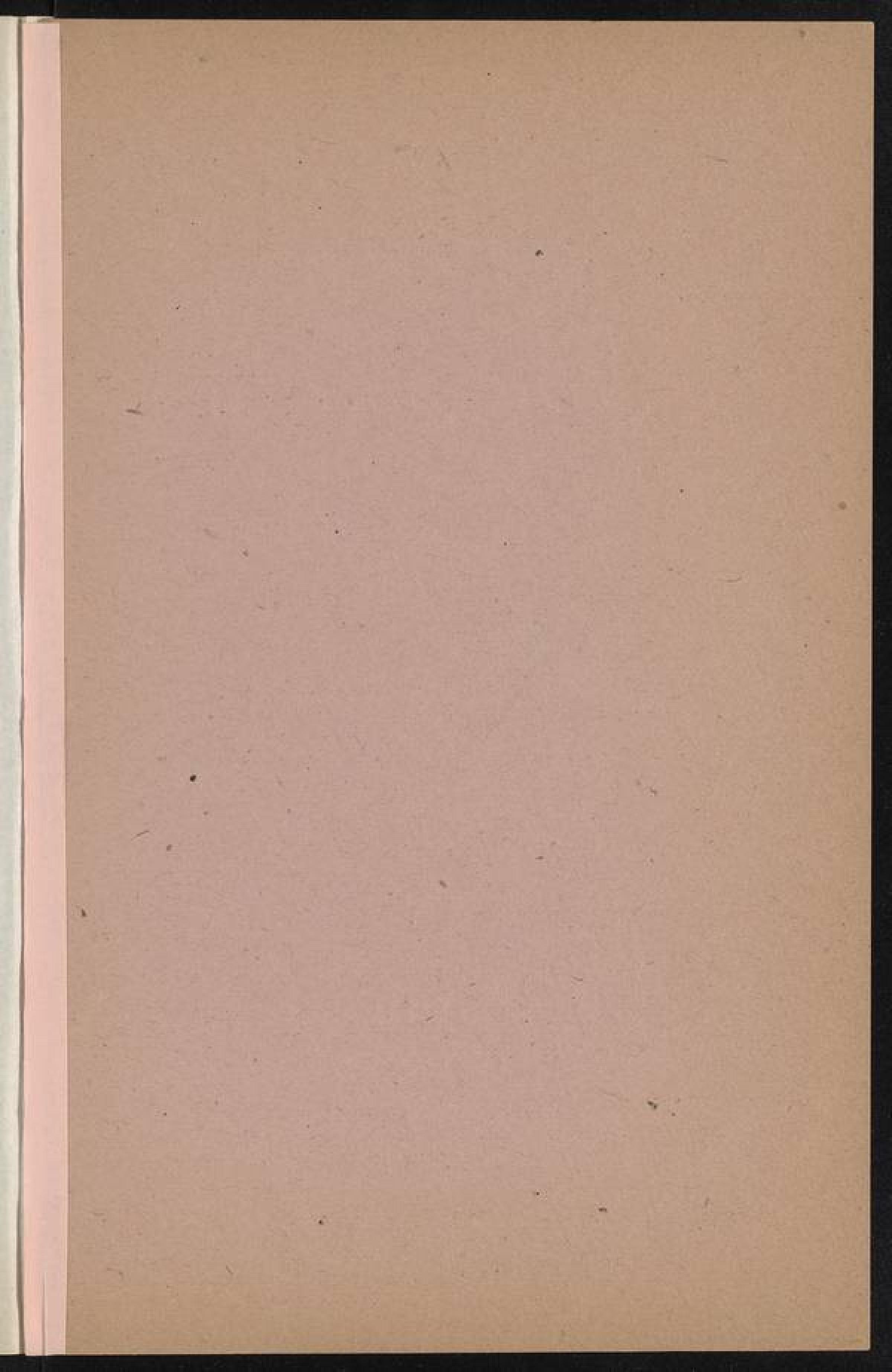
بكلية اللغة العربية

ويليها جملة من شعر ابن المعتز لم يسبق نشرها

الطبعة الأولى

١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر



رسائل ابن المعتز

في النقد والأدب والاجتماع

جمع وتحقيق الأستاذ

محمد عبد المنعم خفاجي

بكلية اللغة العربية

الطبعة الأولى

١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الإهداء

إلى القلب الكبير الذى ملأ بحنانه حياتى أملا ورجاء .

وإلى الروح الطاهرة التى ودعتنا ومضت إلى عالم الأبدية الخالد .

إلى والدى فى مثواه الأخير أقدم هذا الكتاب تحية وفاء وذكرى خلود؟

محمد عبد المنعم خفاجى

بسم الله الرحمن الرحيم

عرض وتحليل

— ١ —

أبو العباس عبد الله بن المعتز أديب ممتاز ، وشاعر ملهم ، وشخصية بارزة بين الشخصيات التى نبغت فى القرن الثالث الهجرى .

ولد فى شعبان عام ٢٤٧ ، فى بيت الخلافة ؛ وولىَ والده محمد المعتز ابن الخليفة المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد العرشَ عام ٢٥٢ هـ ، ومكث خليفة ثلاث سنين ، قُتل بعدها بيد الأتراك ، الذين كان فى يدهم جميعُ أمور الدولة إبّانَ هذه الفترة الحافلة ؛ وكان لنكبة والده أثر عميق فى حياته ونفسيته .

تلقى ثقافته فى الدين واللغة والأدب على شيوخ العربية وأئمتها ، الذين حفل بهم هذا العصر الزاخر بألوان الثقافات والعلوم والآداب ، فكان من أساتذته المبرد ٢٨٥ هـ ، وثعلب ٢٩١ هـ ، وسواهما من فحول العلماء .

وظهرت شاعريته فى أول عهده بالشباب ، فامتلأت بها حياته ؛ وانصرف عن مؤامرات السياسة إلى حياة العلم والأدب ، فكان الشاعر المجيد ، والبليغ الساحر ، والناقد الواقف على خصائص الأدب والبيان ، والمؤلف البارع فيما يكتب ويخرج من مؤلفات .

عاصر ابن المعتز بعد وفاة والده أربعة من الخلفاء العباسيين من أسرته وبنى عمومته هم : المهتدى ٢٥٦هـ ، والمعتمد ٢٧٩ هـ ، والمعتضد ٢٨٩ هـ ، والمكتفى ٢٩٥ هـ ؛

وكان وثيق الصلة بالمعتضد إلى حد بعيد ، وله أرجوزة تاريخية فى حياته وأعماله لها قيمة كبيرة فى الشعر العربى .

عاش ابن المعتز بينهم معتزا بشخصيته ، نبيل النفس ، عظيم الخلق ، يظهر انصرافه عن الخلافة ، وهو فى نفسه ناقم على الحياة التى ملَكتْ سواه مقاليدَها ، وقبض عليه حيناً ، أُطلق بعده سراحه ، ووُضع موضع المراقبة ، وكان يقول :

من يشترى حسبى بأمن خمول من يشترى أدبى بحظ جهول ؟

ولما مات المكتفى عام ٢٩٥ هـ ولَّى الأتراك المقتدرَ العرشَ بعده ، وكان طفلا ، فثار الناس فى بغداد ، وانتهت هذه الثورة المسالمة بخلع المقتدر ، وتولية ابن المعتز الخلافة ، فى أوائل عام ٢٩٦ هـ ؛ ومكث فيها ليلة واحدة ، حيث قاوم حزب المقتدر هذه الثورة ، يؤيده حزب الأتراك العسكرى ؛ وقبض على ابن المعتز ، وقتل فى ٢ ربيع الثانى عام ٢٩٦ هـ ، وبذلك انتهت حياة أديب كبير من أدباء العربية وشعرائها المعدودين .

ولابن المعتز مؤلفات كثيرة جيدة ، منها :

١ — طبقات الشعراء : وقد طبع جزء منه فى أوروبا ، وكنت عازما على طبعه وتصحيحه لولا أنى علمت أن أستاذا بدار الكتب سبقنى إلى حمل هذا العبء الثقيل .

٢ — البديع : نشر فى أوروبا عام ١٩٣٥ ؛ ونشرناه نحن عام ١٩٤٥ ، بشرح أدبى واسع وترجمة لنحو مائتى علم من الأعلام الواردة فيه ، مع تصحيح كثير من الأخطاء والتحريفات التى كان يشتمل عليها ؛ بيد أنه لم تساعدنا الظروف على نشر الفهارس الخاصة به لقلة الورق الذى خصص لنشره ، وسنتلافى ذلك فى الطبعة الثانية إن شاء الله .

٣ — رسائل ابن المعتز : ولم يجمعها أحد قبلى ، وهذه طائفة منها ، قد أضنانا البحث فى التنقيب عنها فى أمهات كتب الأدب وأصوله ، ونحن نقوم بنشرها لأول مرة فى هذا الكتاب.

٤ — رسالة فى محاسن ومساوئ شعر أبى تمام : وكانت مختفية عن أنظار الباحثين حتى

وجدنا طائفة كبيرة منها ، فنقلناها وصححناها ، وراجعناها على الموازنة للآمدى ، ثم نشرناها فى هذا الكتاب .

٥— سرقات الشعراء : وقد أشار إليـــه الآمدى فى الموازنة[1] وورد ذكره فى بعض المراجع كشذرات الذهب[2] وابن خلكان[3] والفهرست[4] .

٦— فصول التماثيل فى تباشير السرور ؛ وقد طبع فى مصر عام ١٩٢٥ .

٧— ديوانه وقد طبع فى مصر و بيروت ، طبعة فيها كثير من التحريف ولا تشتمل على كل شعره ، و يوجد نسختان كاملتان من ديوانه ، وهما مخطوطتان بدار الكتب .

٨— وله عدة كتب أخرى مفقودة ، منها : « الزهر والرياض ، كتاب مكاتبات الإخوان بالشعر ، كتاب الجوارح والصيد ، كتاب أشعار الملوك ، كتاب الآداب ، كتاب حلى الأخبار ، كتاب الجامع فى الغناء » .

— ٢ —

وابن المعتز مع أنه شاعر مشهور ، كاتب من كبار الكتاب فى عصره ، بل هو إمام الكتاب فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ؛ وكثير من أئمة الأدب كانوا يضعونه مع فحول الكتابة فى منزلة واحدة .

وقد خلَفَ طبقة الكتاب التى كان يتزعمها الجاحظ شيخ البيان العربى م ٢٥٥ ﻫ .

وتمتاز كتابته بسلاسة إسلوبها وجماله و إشراقه ، و بسمو معانيها ودقتها ، وغلبة روح الحكمة عليها ، و بصدورها عن طبع ، متمكن من اللغة وآدابها ، ومطبوع فى كل فقرة من فقراته ، ورسالة من رسائله .

وتشتمل آثاره الأدبية فى الكتابة على مجموعتين :

(١) رسائله إلى أصدقائه من رجالات الدولة ووزرائها وكبار الشخصيات فيها ؛

---

(١) ١٢٠ ، ١٢٩ الموازنة — صبيح .
(٢) ٢٢٣ جـ ٢ الشذرات طبعة القدسى .
(٣) ٤٦٢ جـ ١ طبعة ١٢٩٩ مصر .
(٤) ١٦٨ طبعة الرحمانية .

وقد جمعت منها طائفة ، لاشك أنها قليلة بالنسبة لما له من رسائل ، ولكنها على أى حال هى كل ماوجدته فى شتى كتب الأدب العربى وأصوله ، مما أمكننى الاطلاع عليه إلى الآن ، و يشير الأغانى إلى أن له رسالة طويلة فى الغناء ومذاهبه ورأيه فى التجديد فيه ، وقدبعث بها إلى صديقه ابن حمدون[1] ، وهى مفقودة ، لم نعثر عليها للآن ، ولعلها ضاعت مع ما ضاع من آثاره الأدبية المختلفة .

(٢) الفصول القصار ، وهو كتاب لابن المعتز فى الحكم والآداب والأخلاق والاجتماع والسياسة ، وقد أشار إليه فى كتابه « البديع »[2] ، وهو مفقود ، وقد جمعت منه طائفة كبيرة عثرت عليها فى شتى كتب الأدب ؛ وهناك حكم كثيرة لابن المعتز جمعتها من مصادر متعددة ، وهذه المصادر و إن لم تشر إلى أن تلك الحكم من «الفصول القصار» إلا أنى أرجح أنها منقولة منه ، وأنها بعض محتوياته ، و إذاً فجميع الحكم المنثورة فى هذا الكتاب ، نرجح أنها جزء كبير من «الفصول القصار» ، وهى على أى حال كل ما أمكننا العثور عليه .

— ٣ —

وأثر ابن المعتز فى النقد الأدبى أثر كبير خالد .

ففضلا عن أن له : « طبقات الشعراء ، وسرقات الشعراء » له آراء كثيرة متفرقة فى النقد الأدبى ، وله رسالة فى نقد شعر أبى تمام .

وقد جمعت هنا كل ما أمكننى جمعه من آرائه فى النقد ، وجمعت كثيرا من رسالته فى أبى تمام ، إن لم يكن ما أثبته هنا هو كل الرسالة ، وعنيت بمراجعتها على الموازنة ، ولا شك أن لهذه الرسالة قيمة خاصة فى النقد الأدبى ، وفى نقد شعر أبى تمام على الخصوص ، لأنها من أوائل ما كتب فى نقد شعره ، فوق أنها أصل كبير من أصول « الموازنة » للآمدى ؛ ولقدامة بن جعفر كتاب فى الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام[3] ، ولعله ردّ على رسالة ابن المعتز هذه التى كتبها فى نقد شعر أبى تمام .

---

(١) ١٤١ جـ ٩ الأغانى .
(٢) ص ٩٠ ط ١٩٤٥ .
(٣) ٢٠٤ جـ ٦ معجم الأدباء نشر مرجليوث .

— ٤ —

وبعد فإن من الواجب على من يريد أن يدرس ابن المعتز أن يعرف آثاره الأدبية المختلفة ، قبل أن يكتب عنه ، ويحلل شخصيته ، ويبين أثره فى النشاط الأدبى فى عصره ومنزلته بين رجالات النهضة وأئمة الأدب .

لذلك بادرت إلى نشر هذا الكتاب ، بعد أن نشرت كتاب البديع ، ليعيننا ذلك على البحث والدراسة ، ونسلك على ضوئه سبيلا واضحة إلى الفهم والنقد والحكم .

وقد قسمته أربعة أقسام :

(١) القسم الأول آثار ابن المعتز فى النقد .

(٢) والثانى رسائله الأدبية ونثره الفنى .

(٣) والثالث حكم وآداب .

(٤) والرابع أرجوزة ابن المعتز فى تاريخ المعتضد ، وهى مشروحة شرحا تاريخيا ولغويا واسعا ، ويليها أرجوزته فى ذم الصبوح ؛ والأرجوزة الأولى لها مكانة ممتازة فى الشعر العربى لأنها صورة مصغرة للمحمة الإلياذة وشاهنامة الفردوسى ، والأرجوزة الثانية تحتل مكاناً أدبيا كبيراً فى شعر ابن المعتز .

وأشير هنا قبل نهاية هذه المقدمة إلى أننى سأكون مضطرا إلى عدم نشر فهارس هذا الكتاب ، وإلى حذف كثير من شروحى على هذه الآثار الأدبية نظراً لأزمة الورق التى تزداد شدة فى هذه الأيام .

والله المسئول أن يلهمنا الرشد ، ويمنحنا الصواب ، ويهدينا سواء السبيل ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

١٩٤٦/٢/١٥

القسم الأول

آثار ابن المعتز فى النقد الأدبى

عناية ابن المعتز بالبيان والنقد(١)

قال أبو بكر الصولى(٢) : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبى العباس عبد الله ابن المعتز ، وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسانُ مذاكرته ، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شِعباً من شعابه ، وأرانا أحسن ماقيل فى بابه ؛ إلى أن قال : ما أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر ؟.

قال الأسدى(٣) ، قول لبيد :

وغداةِ ريحٍ قد كشفْتُ وقِرّةٍ ... إذ أصبحتْ بيدِ الشمالِ زمامُها

قال أبو العباس : هذا حسن ، وغيره أحمد منه ، وقد أخذه من قول ثعلبة ابن صعير المازنى(٤) :

فتذا كرَا ثقلاً رثيداً بعد ما ... ألقت ذُكاء يمينَها فى كافر(٥)

وقول ذى الرمة أعجب إلىَّ منه :

ألا طرقتْ ميٌّ هيُوماً بذكرها ... وأيدى الثريا جنَّحٌ فى المغارب

---

(١) راجع ٤/١٢٣ زهر وما بعدها .

(٢) أديب شاعر مؤلف ناقد توفى سنة ٣٣٥ .

(٣) من أساتذة ابن المعتز وهو أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى النحوى الراوية والمتصرف فى فنون الأدب (راجع ترجمته فى : معجم الأدباء نشر مرجليوث ص ١٣٣ جـ ٧ ، وتاريخ بغداد ص ٣٧١ جـ ٣) .

(٤) شاعر صحابى ومن شعراء المفضليات .

(٥) نسبه الباقلانى فى إعجاز القرآن للبيد (ص ٢٠٠ طبعة السلفية ١٣٤٩ هـ) قال : « يريد بيض النعام لأنه ينضد بعضه على بعض » . وفى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة » نسبته لثعلبة وذكر أنه أخذه من قول لبيد :

حتى إذا ألقت يداً فى كافرٍ ... أو جُنَّ عوراتِ الثغور ظلامُها

(ص ٩٤ الشعر والشعراء ط ١٩٣٢ بمصر) ؛ والبيت من قصيدة لثعلبة رواها صاحب المفضليات (ص ٥١ ط ١٩٢٦ شرح السندوبى) ؛ تذاكرا أى الظليم والنعامة ، ورواية المفضليات تذكرا ، والرثيد : أى بيضهما المنضود من رثد المتاع : نضده فهو رثيد ؟ وذكاء : الشمس ، والكافر : الليل المظلم لأنه يغطى بظلمته كل شىء .

وقال بعضنا بل قول لبيد أيضاً :

ولقد حميْتُ الخيلَ تحملُ شِكَّتِي فُرُطٌ ، وِشَاحِي إن غدَوْتُ لجامُها

قال أبو العباس : ولكن ينزل عن قول لبيد : وغداة ريح . وقال اخر :

ولو أنني استودعته الشمس لاهتدت إليـــه المنايا عينُها ورسولُها

قال أبو العباس : هذا حسن ، وأحسن منه فى استعارة لفظة الاستيداع قول الحُصَيْنِ ابن الحُمَام ، لأنه جمع الاستعارة والمقابلة فى قوله :

نطارِدُهمْ نستودعُ البِيضَ هامَهم ويستودعُونا السَّمْهرِيَّ المُقَوَّمَا(١)

وقال آخر : بل قول ذى الرمة :

أقامتْ به حتى ذوى العودُ فى الثرى وساقَ الثريَّا فى مُـلاَءتِه الفجرُ

قال أبو العباس : هذا لعمرى نهاية الخبرة ؛ وذو الرمة أبدع الناس استعارة ، وأبرعهم عبارة ، إلا أن الصواب : حتى ذوى العود والثرى ؛ لأن العود لا يذوى مادام فى الثرى(٢) .

وقلت : بل قوله(٣) :

ولما رأيْتُ الليلَ والشمسُ حيَّةٌ حياةَ الذى يَقْضى حشاشة نازع

قال أبو العباس : اقتدحتَ زندكَ يا أبا بكر(٤) فأورى ؛ هذا بارع جدا ، وقد سبقه إلى هذه الاستعارة جرير ، حيث يقول :

تحيي الروامسُ رَبْعَهَا وتُجِدُّه بعـــد البِلَى فتُميتهُ الأمطار

وهذا بيت جمع الاستعارة والمطابقة ، لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، والبلى والجدة ،

---

(١) البيت من قصيدة للحصين فى المفضليات (١٩ — ٢١) .

(٢) وهذا نقد سبق به الفرزدق النقاد [٤/١٢٤ زهر] ؛ ورواية العمدة : ذوى العود والثرى ، قال : فاستعار للفجر ملاءة وأخرجه مخرج التشبيه . (١/٢٣٩ عمدة) .

(٣) وكان ابن المعتز يقدم ذا الرمة بحسن الاستعاره والتشبيه لا سيما بهذا البيت (١/٢٤٥ العمدة ط ١٩٣٤) .

(٤) هو أبو بكر الصولى الذى روى هذه الرواية الأدبية .

ولـكن ذا الرمة قد استوفى ذكر الإحياء والإماتة فى موضع آخر فأحسن ، وهو قوله :

ونشوانُ من طولِ النُّعاس كأنّه ... بِحَبْلَيْنِ فى أَنْشُـــوطةٍ يترجَّحُ

إذامات َفوق َالرحلِ أحييتُ روحه ... بذكركِ والعِيسُ المراحيلُ جُنَّحُ

قال الصولى : فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبي العباس ماغاضَ فيـه معينهُ ، ولم ينهض حتى زوّدنا من بره وانفظه نهاية ما اتسعت له حاله .

أبو تمام والبحترى فى رأى المبرد[١]

قال أبو بكر محمد بن يحيي الصولى : حدثنى أبو العباس عبد الله بن المعتز قال : جاءنى محمد بن يزيد المبرد يوما ، فأفَضْنا فى ذكر أبى تمام ، وسألته عنـــه وعن البحترى ؛ فقال : «لأبى تمام استخراجات لطيفة ، ومعان طريفة ، لايقول مثلها البحترى وهو صحيح الخاطر ، حسن الانتزاع ، وشعر البحترى أحسن استواء ، وأبو تمـام يقول النادر والبارد ، وهو المذهب الذى كان أعجب إلى الأصمعى ، وما أشبه أباتمام إلا بغائص يخرج الدُّرَّ والمَخْشَلَبَةَ[٢]» ؛ ثم قال : والله إن لأبى تمام والبحترى من المحاسن مالو قِيسَ بأكثرِ شعرِ الأوائل ماوُجد فيه مثله[٣] .

خصومة أدبية حول أبى تمام

قال الصولى :

وحدثنى عبد الله بن المعتز قال : كان إبراهيم بن المدبر[٤] يتعصب على أبى تمام ،

---

(١) نشرنا هذه الكلمة وهى رأى للمبرد زيادة فى الفائدة .

(٢) خرز أبيض يشبه اللؤلؤ .

(٣) أخبار أبى تمام للصولى طبعة ١٩٣٧ ص ٩٦ و ٩٧ .

(٤) كاتب بليغ أسره الزنج بالبصرة عام ٢٥٧ هـ ثم فك سراحه وظل يعمل فى خدمة الدولة حتى توفى عام ٢٧٩ وهو صاحب الرسالة العذراء ، وترجمته فى معجم الأدباء ٢٩٢ — ٢٩٦ جـ ١ نشر مرجليوث .

ويحطه عن رتبته ، فلاحاني فيه يوما ، فقلت له : أتقول هذا لمن يقول :

غدَا الشيبُ مُخْتَطًّا بِفَوْدَىَّ خُطَّةً سبيلُ الرَّدى منها إلى الموتِ مَهْيَعُ

وأنشده الأبيات ، ولمن يقول :

فإنْ تُرْمَ عن عُمْرٍ تدانى به المدى فخانك حتى لم يجد فيك مَنْزَعا

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضريبةً فقطَّعها ثم انثنى فتقطَّعا

ولمن يقول :

خشَعُوا لِصَوْلَتِكَ التى هى عندهم كالموت يأتى ليس فيه عارُ

فالمشىُ همسٌ والنداء إشارة خوفَ انتقامكَ والحديثُ سِرَارُ

أيامُنا مصقولةٌ أطْرافها بك والليالى كلها أسحار

وأنشدته غير ذلك ، فكأنى — والله — ألقمته حجَراً [١] .

الحكومة الأدبية

بين الإنصاف والجور

قال أبو بكر الصولى :

ومن الإفراط فى عصبيتهم على أبى تمام ماحدثنى به عبد الله بن المعتز قال :

حدثت إبراهيم بن المدبر — ورأيته يستجيدُ شعرَ أبى تمام ولايُوَفّيه حقَّه — بحديث حدثنيه أبو عمرو بن أبى الحسن الطوسى ، وجعلته مثلا له ، قال :

وَجَّهَ بى أبى إلى ابن الأعرابى [٢] ، لأقرأ عليه أشعاراً ، وكنتُ مُعْجَباً بشعر أبى تمام ، فقرأتُ عليه من أشعار هُذَيْل ، ثم قرأت عليه أرجوزة أبى تمام ، على أنها لبعض شعراء هُذَيْل :

---

(١) أخبار أبى تمام ص ٩٧ — ٩٩ .
(٢) إمام من أئمة العربية توفى عام ٢٣١ هـ .

وعاذلٍ عذلتُه فى عَذْلِهِ   فظنَّ أنى جاهل من جهله

حتى أتممتُها ، فقال : اكتب لى هـــذه ، فكتبتُها له ، ثم قلت : أحَسَنَةٌ هى ؟ فقال : ما سمعتُ أحسن منها ، فقلتُ : إنها لأبى تمام ، قال : خَرِّقْ خَرِّقْ .

قال عبد الله بن المعتز : وهــذا الفعل من العلماء مفرط القبح ، لأنه يجب ألا يُدْفَعَ إحسانُ مُحْسِنٍ عدوًّا كان أو صديقا ، وأن تُؤخذَ الفائدة من الرفيع والوضيع ، فإنه يُروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال : « الحكمة ضالَّة المؤمن ، فخذ ضالَّتَكَ ولو من أهل الشرك » ، ويروى عن بُزُرْ جمهرْ أنه قال : أخذت من كل شىء أحسنَ ما فيه ، حتى انتهيتُ إلى الكلب والهرَّة والغراب والخنزير ، قيل : وما أخذت من الكلب ؟ قال : إلفَه وذَبَّهُ عن حَرِيمه ، قيل : فمن الغراب ؟ قال : شدةَ حذره ، قيل : فمن الخنزير ؟ قال : بكورَه فى إرادته ، قيل : فمن الهرة ؟ قال حُسْنَ رفقها عند المسألة ولِينَ صياحها .

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : ومن عاب مثلَ هذه الأشعار التى ترتاح لها القلوب ، وتجذل بها النفوس ، وتصغى إليها الأسماع ، وتُشْحَذُ بها الأذهان ، فإنما غَضَّ من نفسه ، وطعن على معرفته واختياره ؛ وقد روى عن عبد الله بن العباس رحمه الله أنه قال : الهوى إله معبود ؛ واحتجَّ بقول الله عزَّ وجلَّ : « أفرأيتَ مَنِ اتخذَ إلهَهُ هواهُ »[(١)].

أبو تمام والمبرد

قال أبو بكر الصولى :

حدثنى ابن المعتز قال :

جاءنى محمد بن يزيد [المبرد] النحوى ، فاحتبستُه ، فأقام عندى ، فجرى ذكر

(١) ١٧٥ — ١٧٧ أخبار أبى تمام للصولى طبعة ١٩٣٧ .

أبى تمام ، فلم يُوَفِّه حقَّه ، وكان فى المجلس رجل من الكتاب ، مارأيتُ أحداً أحفظَ لشعر أبى تمام منه ، فقال له يا أبا العباس : ضَعْ فى نفسك من شئتَ من الشعراء ، ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ماقاله أبو تمام لأبى المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى يعتذر إليه :

شهدْتُ لقدْ أقوت مغانيكمُ بعدى ... ومَحَتْ كما مَحَتْ وشائعُ من بُرْد

وأنشده القصيدة ، فقال أبو العباس [المبرد] : ماسمعت أحسن من هذا قطّ ، مايهضم هذا الرجلَ حقَّه إلا أحدُ رجلين : إما جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام ، وإما عالم لم يتبحَّرْ شعرَه ولم يسمعْه ؛ قال ابن المعتز : ومامات إلا وهو منتقل عن جميع ما كان يقوله ، مُقِرٌّ بفضل أبى تمام وإحسانه(١) .

أبو تمام وأحمد بن الخصيب(٢)

قال الصولى : وجدت بخط ابن المعتز : صار أبو تمام إلى أحمد بن الخصيب فى حاجة له أيام الواثق ، فأجلسه إلى أن أصابته الشمس ، فقال :

تغافلَ عنّا أحمد مُتناسيا ... ذمامَ عهود المدح والشكر والحمد

نموتُ من الحرِّ المبرِّح عنده ... وحاجاتُنا قد مِتْنَ من شدةِ البردِ

بين ابن المعتز والمبرد

قال أبو بكر الصولى :

حدثنى ابن المعتز قال :

صار إلىَّ محمد بن يزيد النحوى منصرفا من عند القاضى إسماعيل(٣) ، وكان يجيئنى كثيراً ، إذا انصرف من عنده ، فأعلمنى أن الحارثى ـ الذى يقول فيه ابن الجهم(٤) :

---

(١) ٢٠٢ — ٢٠٤ أخبار أبى تمام .

(٢) ٢٦٩ — ٢٧٠ » » » .

(٣) هو اسماعيل بن اسحاق الفقيه المالكى القاضى توفى ببغداد ٢٨٢ هـ (٦/٢٨٤ تاريخ بغداد) .

(٤) شاعر مشهور توفى عام ٢٤٩ هـ .

لم يطلُعا إلاَّ لآبِدَةٍ   الحارِثِيُّ وكوكبُ الذَّنَبِ

دخل إلى القاضى إسماعيل ، فأنشده شعراً لأبى تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذاً لم أرَ أحسنَ منه فى معناه ، وأنه كره أن يستعيده أو يقول له : اكتبه ، لحال القاضى، فقلتُ له : أتحفظ منه شيئاً ؟ قال : نعم ، أوله :

جُعلت فداكَ عبدُ الله عندى

قال ابن المعتز : فأنشدتُه الأبيات وكنت أحفظها ، فكتبها بيده[١] .

أبو تمام والبديع

وقال ابن المعتز :

مسلم بن الوليد أول من وسّع البديع ، لأنَّ بشّار بن بُرْد أوّلُ من جاء به ، ثم جاء مسلم فحشا به شعره ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه ، وتجاوز المقدار[٢] .

نقد ابن المعتز للشعر

قال أبو بكر الصولى :

دخلت إلى عبد الله بن المعتز يوما وعنده جماعة ، فرمى إلىَّ بهذه القصيدة (قصيدة ليحي بن علىّ المنجّم) ، وقال : انظر ، أترى فيها لفظة رائعة ، أو معنى مليحا ؟ فقلت له : الأمير — أيده الله — أعلم بهذا منى ومن جميع الناس ؛ فقال لى : مافيها لفظة تمرُّ فى طريق الإحسان إلا قوله : والشعر صوب العقول (من بيته :

والشعر صَوْبُ العقول يظهر فى الـ   ـندىِّ أفْنَ الإنسان أو حِكَمَهْ)[٣]

---

(١) أخبار أبى تمام ص ١٨٤ .

(٢) ص ١٠٩ طبقات الشعراء لابن المعتز نشر عباس اقبال وطبع أوربا .

(٣) ما بين القوسين زيادة عن الأصل لتوضيح المعنى ، والقصيدة المتحدث عنها رواها الصولى قبل ذلك فى كتابه الأوراق قسم أخبار المقتدر .

فسرق هذا اللفظ ثم أتبعه بما ليس بسرقة ، من لفظه الغث ؛ و إنما أخذه من قول أبي تمام :

فلو كان يَفْنَى الشعر أفناه ماقَرَتْ ... حياضُكَ منه فى العصورِ الذواهبِ

ولكنه صَوْبُ العقولِ إذا انجلتْ ... سحائبُ منه أُعقبتْ بسحائب

فقلت : لقد جوَّده أبو تمام و بيَّنه ، وإن كان المعنى أخذه ؛ قال : ومن أين أخذه ؟ قلت من قول أوس بن حجر :

أقولُ بما صبَّتْ علىَّ غمامتى ... وجهدىَ فى حبل العشيرة أحطبُ

فقال : من هاهنا والله أخذه ؛ وجعلتُ أعجب من فطنة ابن المعتز بالشعر ، وهذا فى الملوك قليل ، فإذا برع منهم الواحد بعد الواحد ، تقدَّم الناس ، وخاصة بنو هاشم ، فإنهم أرقُّ الناس أفهاما ، وأدقهم أذهاناً ، وأحسنهم طبعاً ، إنما يكفى الواحد منهم قَدْحُه حتى يتأجج ناره(١) .

بين البحترى وأبى تمام(٢)

وكان البحترى عند عبد الله بن المعتز ، فشكر بعض الأمراء الطاهريين على شفاعته فى حاجة للبحترى عند أبى العباس بن الفرات ، بكتاب كتبه له ، فقال له الأمير : وَهَبْ لى هذا ، [أفلتَ] كما قال أبو تمام :

فلقِيتُ بين يديه حُلْوَ عطائه ... ولقيتُ بين يديه مرَّ سؤاله

و إذا امرؤ أهدى إليك صنيعةً ... من جاهه فكأنها من ماله

فقال ابن المعتز : قلَّ معنى لأبى تمام لم يعمل البحترى فى نحوه ، وما أعرف له فى هذا المعنى شيئاً .

فقِيلَ له : قد قال [البحترى] لأحمد بن عبد الرحيم الحرَّانى من أبيات(٣) :

---

(١) ورقة ٣٦ من الأوراق للصولى فى أخبار المقتدر — مخطوط بمكتبة الأزهر ٧٦٣٦ أباظة .
(٢) راجع ص ٦ مقدمة ديوان البحترى طبعة سنة ١٩١١ .
(٣) راجعها فى ديوان البحترى ص ٢/٢٥٠ .

وكريم غدا فأغلق كفِّى   مُسْتَمِيحاً بنعمةٍ من كريمِ
حازَ حَمْدِى وللرِّياحِ اللَّواتى   تَجْلُبُ الغيثَ مثلُ حَمْدِ الغُيُومِ

قال [ابن المعتز] : هذا ذاك ؛ ثم قال لورَّاقه فكتبهما له .

وقال ابن المعتز[1] :

أبو تمام كثير الشعر جدا ، وأكثر ماله جيد ، والردىء الذى له إنما يستغلق لفظه فقط ؛ فأما أن يكون فى شعره شىء يخلو من المعانى اللطيفة ، والمحاسن والبدع الكثيرة ، فلا ؛ وقد أنصف البحترى ، لمَّا سئل عنه ، فقال : جيده خير من جيدى ، ورديئى خير من رديئه ، وذلك لأن البحترى لايكاد يغلط لفظه ، إنما ألفاظه كالعسل حلاوة ؛ فأما أن يشق غبار الطائى فى الحذق بالمعانى والمحاسن ، فهيهات ، بل يغرق فى بحره ، على أن للبحترى المعانى الغزيرة ، ولكن أكثرها مأخوذ من أبى تمام ومسروق من شعره .

نقد لبيت من شعر أبى تمام

وعاب ابن المعتز على أبى تمام تكرار كلمة أمدحه أمدحه ، مع الجمع بين الحاء والهاء ، وهما معا من حروف الحلق ، وذلك فى قوله :

كريم متى أمدحْه أمدحْه والورى   معى وإذا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وحدى[2]

وهذا النقد منسوب لابن العميد ، وتجده منشورا فى أول رسالة الكشف عن مساوى شعر المتنبى للصاحب ابن عباد[3] وفى العمدة لابن رشيق أيضا[4] منسوبا لابن العميد .

---

(١) ص ١٣٥ طبقات الشعراء لابن المعتز نشر عباس إقبال وطبع أوربا .
(٢) مجلة الرسالة مجلد عام ١٩٤٠ من مقال فى الأدب المقارن لفخرى أبو السعود ص ٦١٢ .
(٣) ص ٦ و ٧ طبعة ١٣٤٩ هـ .
(٤) العمدة ٢/٢٥١ .

رسالة ابن المعتز[١]

فى محاسن شعر أبى تمام ومساويه

قال عبد الله بن المعتز فى رسالة نبه فيها على محاسن شعر أبى تمام ومساويه :

ربما رأيت فى تقديم بعض أهل الأدب الطائىَّ على غيره من الشعراء إفراطاً بيّناً فأعلمُ أن أوْكدَ أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته فى الشعر لما يدعوه إليه اللجاج .

فأما قولنا فيه ، فإنه بلغ غايات الإساءة والإحسان ، فكأن شعره قوله :

إن كان وجهُكَ لى تترى محاسنُه ... فإن فعلكَ بى تترى مساويهِ

فما أنكر عليه قولُه فى قصيدة :

تكادُ عطاياه يُجَنُّ جنونُها ... إذا لم يعوِّذْها بنغمةِ طالب

ولمَ يُجَنُّ جنونُ عطاياه انتظاراً للطلب ؟ يبتدئْ بالجود و يستريح ؛ وفيها يقول :

يقودُ نواصيها جُذَيلُ مَشارقٍ ... إذا آبَهُمْ ، عُذَيْقُ مغاربِ

عنى أنه كثير الأسفار ، فأراد بذلك قول القائل : أنا جُذَيْلُها المُحكَّك ، وعُذَيْقُها المرجَّبُ

وقوله فى قصيدته التى أولها :

سرتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوَى غدِ ... وعاد قتاداً عنـدها كلُّ مرقد

لعمرى لقـد حرَّرت يوم لَقِيتهُ ... لو أنَّ القضاء وحـده لم يبرِّد

فلم تخرج هاهنا المطابقة خروجا حسنا ، ولا تحسن فى كل شىء . وقوله :

لو لم تَدارَكْ مُسِنَّ المجد مذ زمن ... بالجود والبأس كان المجد قد خَرِقا[٢]

فقوله « مُسِنَّ المجد » من البديع المَقِيت[٣] .

---

(١) ٣٠٧ — ٣١٩ الموشح للمرزبانى .

(٢) راجع ١١٣ موازنة حيث يعد الآمدى فى موزانته البيت من قبيح الاستعارة .

(٣) أى المكروه .

وقال يصف المطايا :

إرقالُها يَعْضِيدُها ، ووسِيجُها سَــعْدانُها ، وذميلُها تَنُّومُها

الإرقال ضرب من السير ، وكذلك الوسيج والذميل ، واليعضيد نبت ، وكذلك السعدان والتنوم ، يعني أنه لاعلف لها إلا السير ؛ وقد سُبق إلى هذا المعنى ، وكسته الشعراء من الكلام أحسن من هذه الكسوة . وقال :

تسعين ألفاً كآساد الثرَى نَضِجَتْ أعمارُهم قبل نُضْجِ التينِ والعنب

وقد سبق الناس إلى عيب هذا البيت قبلي ، وهو من خسيس الكلام (١) . وقال :

شاب رأسي وما رأيتُ مَشِيبَ الـ رأس إلاّ من فضلِ شَيْبِ الفؤادِ

فياسبحان الله !! ما أقبح مشيب الفؤاد ، وما كان أجراه على الأسماع في هذا وأمثاله. وقال:

كانَ في الأجْفَلَى وفي النَّقَرَى عُرْ فُكَ نفْرَ العمومِ نفْرَ الوحادِ

يقال : « دعاهم الجَفَلَى » إذا دعاهم كلهم فأجفلوا ؛ ويقال : « دعاهم النَّقَرى » ، إذا دعاهم واحداً واحداً ؛ وهذا من الكلام البغيض ، والغريب المستكره البدوى ؛ فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب ؟

وقال في واقعة لِـ « بَابَك » ، انهزم فيها ، ومدح الأفشين :

وَلّى ولم يظلم ، وما ظلم امرؤٌ حثَّ النجاء وخلفه التِّنِّينُ (٢)

فلو كان أجهد نفسه في هجاء الأفشين ، هل كان يزيد على أن يسميه التنين ؟ وما سمعت أحداً من الشعراء شبه به ممدوحا بشجاعة ولا غيرها .

وقال في مثل ذلك :

عَلَوا الجنُوبِ موجَّدات كأنها جُنُوبُ فُيُولٍ مالهنَّ مَضاجعُ

أراد أنهم لايغلبون ولايصرعون ، كما أن الفيلة لاتضجع ؛ وهذا بعيد جدا من الإحسان .

وقال :

---

(١) يرد الصولى في « أخبار أبي تمام » على من نقد هذا البيت لأن أبا تمام انما ذكر « التين والعنب » تهكما بأهل عمورية الذين قالوا : إن أقام هؤلاء إلى زمان التين والعنب لم يفلت منهم أحد .

(٢) ضرب من الحيات .

ذهبتْ بمذهبـــه السماحةُ فالتوتْ   فيه الظنونُ: أمُذهب أم مَذْهَبُ[1]

يريد غلبت على مذهبه السماحة، فـكان فيها مذهباً يظنه بعض الناس، وقال:

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذاً   لمات - إذ لم يمت - من شدة الحزَن

فـكأنه لو نصر أيضا وظفر، كان يموت من الغمّ، حيث لم ينصر ويقتل؛ فهـذا معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ فى مثله. وقال:

إذا فُقد المفقود من آل مالك   تقطَّعَ قلبى رحمـــةً للمكارم

وهذا قد عِيبَ قبلنا، وقالوا: تقطَّعَ رحمة للمكارم من كلام المخنثين.

وقد كان الناس قبلنا ينكرون على الشاعر أقلَّ من هذه المعايب، حتى هجّنوا شعر الأخطل، وقدّموا عليه بثلاثة أبيات لم يصب فيها، وهو شاعر زمانه، وسابق ميدانه؛ من ذلك قوله:

لقد أوْقع الجحّافُ بالبشر وقعةً   إلى الله منها المشتكى والمُعَوَّلُ

فأنـكروا عليه فى هذا البيت ما أظهر من الجزع، وعظَّمَ من فعْلِ عدوّه به، وقوله:

بنى أميـة إنى ناصحٌ لـكم   فلا يبيتنَّ فيكم آمناً زُفَرُ

فعظَّمَ قدر عدوه ومن يهجوه، حتى خوف الخليفة منه، وقوله:

قد كنتُ أحسبه قيْناً وأُنبؤُهُ   فاليوم طيّرَ عن أثوابهِ الشَّرَرُ

فأراد أن يمدحه فهجاه[2]؛

فـكيف نجيز للمحدثين - مع تصفحهم لأشعار الأوائل، وعلمهم بها - مثل هذا الجنون؟ نرجع الآن إلى ما ابتدأنا به:

فمن ابتداءاته المذمومة قوله:

خشُنْتِ عليه أختَ بنى خُشَيْنٍ[3]

---

(١) راجع ١٢٢ موزانة حيث عد الآمدى البيت من قبيح التجنيس.

(٢) وكذلك ذكر الآمدى البيت فى الموازنة ص ١٩.

(٣) وعده الآمدى من قبيح التجنيس (١٢٢ موزانة) ونقده فى موضع آخر من الموازنة ص ٢٠١، وكذلك نقد هذا المطلع صاحب الموشح (ص ٣٠٥ و ٣٢٤ الموشح للمرزبانى).

وهذا الكلام لايشـــبه خطاب النساء فى مغازلتهن ، وإنما أوقعه فى ذلك محبته هاهنا للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى .

* * *

وقال :

لما تفوّقت الخطوبُ سوادها   ببياضها عَنيتْ به فتفوّقا

فسرقه من قول الآخر :

قصرَ الليالى خطْوَه فتدانَى   وثنيْنِ قائمَ صلبه فتحانَى

مابالُ شيخ قد تخدّدَ لحمُه   أفنى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء داجيةً وسَحْقَ مُفوّفٍ   وأجدّ لوناً بعـــد ذاك هجانا

* * *

ومن استعماله الغريب الذى كان يستبشع مثله من العجاج ورؤبةَ قوله ـ وهو يصف ظبية ـ :

تقرو بأســـفله ربولا غضّةً   وتَقِيلُ أعلاه كِناسا فوْلفا

أراد ملتفًّا ، ويقال : الإنسان يقرو الأرض إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها ، والربول : جمع رَبل وهو نبات يصيبه برد الليل ونداه فينبت بالمطر ، والـكناس : مَوْلِجٌ للوحش من البقر والظباء تستظل فيها . وقوله :

أدنيتُ رحلى إلى مُدْنٍ مكارمه   إلىّ يهتبلُ الذْ جئتُ أهتبلُ

« الذْ » بمعنى الذى . وقال :

إذا مشى يمشى الدّفقّى، أوسرى   وصل السُّرى، أوسارسار وجيفا

الدّفقّى : مشية سريعة ، قال الشاعر :

من الخفِرات لاتمشى الدّفقّى   ولا تختال فى الثوب المُعار

وقال الطائى فى مثل ذلك :

وقد سدّ مندوحة القاصعا   ءِ منهم وأمسـك بالنافقاء

القاصعاء : جحر اليربوع الأول الذى يدخل فيه ، والنافقاء : موضع يرققه من جحره ، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء ففتحه ؛

ولم نعبء من هذه الألفاظ شيئا غير أنها من الغريب المصدود عنه ، وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لاتجاوَرُ بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة فى كلامهم ؛ ألا ترون بُعْدَ قوله :

قرُبَ الحيا وانهلَّ ذاك البارقُ والحاجةُ العُشَرَاء بعدك فارقُ

* * *

ومن قوله فى الغزل :

أيامن شفَّنى وصبرت حتى ظننت بأن نفسى نفس كلب

ومن قوله :

به عاش السماح ، وكان دهراً من الأموات مَيْتاً فى لِفَافَهْ

وما كان أحوجه إلى أن يستعمل مامدح به الحسن بن وهب ، حيث يقول :

لم يَتَّبِعْ شَنِعَ الكلامِ ولامشَى مَشْىَ المقيد فى حدود المنطق

وقال :

ألا لايمدَّ الدهر كفًّا بسيِّءٍ إلى مُجتدى نصر فتُقطعُ من الزَّنْد[1]

فتجاوز حد المدح ولم يجىء بشىء فى ذكر زند يد الدهر . وقال يصف المطايا :

لو كان كلفها عُبيدٌ حاجةً يوماً لزَنَّى شَدْقَماً وجَديلا

يعنى : عُبيد الراعى ؛ ماأخسَّ قوله : « لزَنَّى شدقما وجديلا » وما معنى تزنية ناقة أوجمل أو بهيمة ؟ ، وماأشبه هذا بقول عبيد الراعى :

إلى المصطفى بشر بن مروان ساورت بنا الليل حُولٌ كالقِداح ولُقَّحُ

الناقة الحائل : التى لم تحمل تلك السنة ، واللُّقّح : الحوامل .

---

(١) راجع الموازنة ص ١١٢

تَلتهُا بنارُوحٌ زواجلُ ، وانتحتْ   بأجوازها أيْدِ تجِــــدُّ وتمزحُ

الأروح : الذى فى صدر قدمه انبساط .

فظلَّتْ بمجهول الفـــلاة كأنها   قراقيرُ فى آذىّ دِجـلة تسبحُ

لهَا مِيمُ فى الخَرْق البعيد نياطُه   وراء الذى قال الأدِلاَّء تصـبحُ

* * *

وللطائى سرقات كثيرة ، أحسن فى بعضها ، وأخطأ فى بعضها ، ولمـا نظرت فى الـكتاب الذى ألفه فى « اختيار الأشعار » وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء ؛ وإنما سرق بعض ذلك فطوى ذكره ، وجعـل بعضه عُدَّةً يرجع إليها فى وقت حاجته ، ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصولَ أشعارهم على وجوهها ، ويقنعوا باختياره لهم ، فتعمى عليهم سرقاته . ولايعذر الشاعر فى سرقته ، حتى يزيد فى إضاءة المعنى ، أو يأتى بأجزل من الكلام الأول ، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ماتقدمه ، ولا يفتضح به ، وينظر إلى ماقصده نظر مستغن عنه ، لافقير إليه .

* * *

وأراد امتداح عبد الحميد بن جبريل ، فجعله طبيبا فى قوله :

شكوت إلى الزمان نُحولَ جسمى   فأرشــــــدنى إلى عبد الحميد

وقال فى هذه القصيدة :

ولا تجعل جوابك فيــه لى (لا)   فأكتب مارجوت على الجليد

وإنما مضى المثل بالـكتابة على المـاء ، فلم يصنع فى ذكر الجليد شيئا .

وقال وهو يغوص على المعانى ، ولا يريد أن يعطل بيتاً من كلام مستغلق ، مثل هذا الشعر :

لقـد وهب الإمامُ المـالَ حتى   لقـد خفنا بأن يهب الخلافه

به عاش السماح ، وكان دهراً   مع الأموات ميتاً فى لِفافه

وقال : فضربت الشـتاء فى أخدعيه   ضربة غادرتْه عَوْداً ركوبا[1]

(١) راجع الموازنة ص ١١٢ .

يقال : عوّد البعيرُ تعويداً ، وذلك بعد بُزُوله بأربع سنين ، والعود الطريق القديم ، قال الراجز :

عَوْد على عوْد لأقوامٍ أُوَلْ   يموت بالترك ويحيا بالعمل [1]

وقال : سأشكر فَرْجَةَ اللَّبَبِ الرَّخِيِّ   ولينَ أخادع الزمنِ الأبيِّ [2]

وقال : ذلَّتْ بهم عُنُقُ الخليط ، وربما   كان المنعَّ أخدعا وصليفا

فأكثر من ذكر الأخادع ؛ وقال بعض أصحاب الهزل ، وقد أنشدته هذه الأبيات : ما كان أحوجه إلى أن يعاقَب فى أخدعيْه على هذا الشعر ، وبلغنى أن إسحاق بن إبراهيم المغنّى سمعه ينشد شعره ، فقال : ياهذا لقد شدّدتَ الشعر على نفسك ، وقال :

إذا الثلجُ فى حرّ الهجيرة لم يذُبْ   من الصّنّ والصِّنّبْرِ ذابتْ فوائده

الصّنُّ : أول أيام العجوز ، والصنبر : الثانى . وسرق هذا المعنى من قول الآخر : ما أجمد فى حق ، ولا أذوب فى باطل ؛ فأساء السرقة ، وشوّه المعنى . وقال :

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا   فكأنما لبس الزمانُ الصوفا

وقد تقدم إنكار الناس هذا البيت قبل ، لما بين نصفيه من التباين فى الإساءة والإحسان

وقال : بيض إذا اسودّ الزمانُ توضّحوا   فيه ، ففودر ، وهو منهم أبلق [3]

فهذا من عجائبه أيضا ، وقال :

بنفسى جيبٌ سوف يثكلنى نفسى   ويجعل جسمى تُحْفَةَ اللحدوالرمس

أراد هنا أن يتدامث ، فازداد من البغض . وقال فى مثل ذلك :

مازال قلبى منذ عُلّقته   أعمى من الخُرْقة مايُبصر

وقال فى مثل ذلك :

وأنا الذى أعطيته مَحْضَ الهوى   وصميمه فأخذتُ عُذْرةَ أُنْسه

---

(١) الموازنة ص ٤٥ .

(٢) الموازنة ص ١١٢ .

(٣) راجع ١١٣ موازنة .

وقال : لم تُسْق بعد الهوى ماء على ظمإٍ كماء قافيــة يَسقيكهُ فهمُ[1]

فهذا وأمثاله يفضح نفسه ، ويُستغنى عن وصفه . وقال :

رقّتْ جواهر أجناس الغزال فلو مُلّكْتُه لشربت الخِشف فى الكاس

فانظر ، ما أبغض قوله ثَمّ « الغزال » ، وقال هاهنا « الخِشْف » فى بيت واحد ، وإنما سرق المعنى من قول أبى العتاهية لمخارق وقد غنّى :

رققتَ حتى كدتُ أن أحسوكا

* * *

وىما ينسب إلى التكلف قوله[2] :

قدكَ اتّئبْ أربَيْتَ فى الغلواء كم تعـــذلون وأنتمُ سُجَرائى

السجير : الأنيس . وقوله :

مستسلم لله سائسُ أمّـــــة بذوى تجهْضُمِنا له استســـــلامُ

يقال : تجهضمَ الفحلُ إذا علا أقرانه ، وبعــيرٌ جهضَمُ الجنبين أى رحْبُهما ، ففى هذا البيت كما ترى تبغُّضٌ وتكلُّف . وقال :

فإن صريحَ الحزم والرأى لامرئٍ إذا بلغته الشمس أن يتحوّلا

وليس هذا بشىء ، ربما استطاب الناسُ التحوّلَ إلى الشمس ، وإنما أخذه من كلام العامة « إذا بلغتك الشمس فتحوّل » وقال[3] :

لا تنشجنّ لها فإن بكاءها ضحِكٌ وإن بكاءك استغرامُ

يقال : نَشِجَ الباكى إذا غصّ بالبكاء ، والحمار ينشج ، والطعنة تنشج عند خروج الدم مع نفخ ، والقدر تنشج عند الغليان ؛ وسرق هذا المعنى من قول القائل :

---

(١) راجع نقد الآمدى للبيت [١١٨ موازنة] .
(٢) راجع ١٢٨ موازنة .
(٣) نقل ذلك الآمدى فى الموازنة مع اختصار [٥١ الموازنة — صبيح] .

أحقًّا ياحمامةَ بطنِ فَلْجٍ　　بهذا الوجدِ أنك تصدُقينا

غَلبتُك فى البكاء بأنَّ ليلى　　أُواصـلُه وأنك تهجعينا

وأنى إن بكيتُ بكيتُ حقا　　وأنك فى بكائك تنـدُبينا[1]

وقال الطائى :

يوم أفاض جوًى أغاض تعزِّيًا　　خاض الهوى بحرَىْ حجاه المزبد[2]

وهذا من الكلام الذى يستعاذ بالصمت من أمثاله . وقال :

مَنْ شرَّد الإعدامَ عن أوطانه　　بالبذل حتى استطُرِفَ الإعدامُ

وسرق هذا المعنى من الأعشى إذ يقول :

هم يَطردون الفقر عن جارهم　　حتى يُرَى كالغُصنِ الناضر[3]

＊ ＊ ＊

وقد أسقطنا من معايب شعره شيئا كثيراً لم نثبته فى رسالتنا هذه ، وقصدْنا من ذلك مايبهر الحجة ، ويفلُّ حدَّ النصرة .

＊ ＊ ＊

وقال :　كأن به غَداة الرَّوع وِرْداً　　وقد وُصفت له نفس الشجاع

الوِرْد : اسم من أسماء الحمى ، يقال له : رجل « مورود » إذا كان محموما ، قال الشاعر :

إذا ذكرتكَ النفس ظلّتْ كأنما　　عليها من الورد التهامىّ أفكَلُ

الأفكل : الرعدة ، أراد كأن به حمى ، وقد وصفت له نفس الشجاع يتعالج بها .

ومن العجائب قوله :

فِدًى له مُقشعرٌّ حين تسأله　　خوفَ السؤال كأنْ فى خدّه وبرُ

---

(١) رواية الموازنة . تكذبينا (ص ٥١) .

(٢) راجع نقد الآمدى البيت [١٢٦ موازنة] .

(٣) ويفضل الآمدى فى الموازنة بيت الأعشى على بيت أبى تمام (ص ٥٦ الموازنة) .

وقوله : ماز ال يهذِى بالمكارم والعلا حتى ظننَّا أنه محموم[١]

وقال فى وصف الفرس :

إمليسُه إمليدُه لو عُلِّقَتْ فى صهوتيه العينُ لم تتعلَّق

فسرقه من امرئ القيس حيث يقول :

* متى ما ترقَّ العين فيه تسفَّلِ *

وبيت امرئ القيس أصحُّ معنى ، لأنه أراد أن العين إذا صعّدت فيه صوّبت إشفاقا عل
من أن تصيبه ، خبّرنى بذلك أبو سعيد[٢] ، وأراد الطائى أن العين لا تتعلق به من انتق
لونه واملاسه ، فأفرط ولم يصنع شيئا ؛ الإمليد والأملد : الناعم ، قال الراجز :

* بعد التصابى والشباب الأملد *

ومن عجائبه أيضا قوله :

ذَعرتْها النوى فأسبلتِ الدّ مع على الخدّ من تلاَعِ المآقى

وقوله : ولا أرى ديمةً أكفى لنائبة منه على أنَّ ذكراً طارَ للدِّيمِ

مجذْرعى تلعات الدهر وهو فتى حتى غدا الدهر يمشى مِشيةَ الهرم

وفى هذه يقول :

كان الزمان بكم كلباً فغادركم بالسيف والدهر فيكم أشهر الحُرُم

لا تجعلوا البغي ظهراً إنه جَمَلٌ من القطيعة يرعى وادى النعم

نظرتُ فى السِّيَرِ الأولى خلَتْ فإذا أيامه أكلت باكورة الأمم

وقالْ : والحرب تعلم حين تجهل غارة تغلى على حطب القنا المحطوم

(١) يقول الصولى فى أخبار أبى تمام : عابوا هذا البيت فلم لم يعيبوا إذاً قول أبى نواس :

جدت بالأموال حتى قيل ما هـذا صحيح

أى عاقل ؛ وقوله : « « « حسبوه الناس حمقا

وقول الشاعر : بطل تناذره الكماة كأنه مما يدل على الفوارس أحمق

(٢) أبو سعيد محمد بن هبيرة الغاضرى النحوى الأسدى من أساتذة بن المعتز وتوفى فى أوائل القرن الرابع .

وسرق هذا المعنى من شعر لدرّة بنت أبى لهب فى يوم الفجار ، وهو :

ملمومــةٌ خرساء يحسبها   من رامها مَوْجاً من البحر
والجُرْدُ كالعقبان كاسرةً   تهوِى أمامَ كتائبٍ خضْرِ
فيهم ذُعافُ الموت أبردُه   يغلى بهم وأحرّه يجرى

وقال الطائى :

أبا جعفر إنّ الجهالة أمها   وَلُودٌ وأمُّ الحلم جدَّاء حائلُ

الجداء : المنقطعة النسل ؛ وسرق هذا المعنى من قول الشاعر :

بغاثُ الطير أكثرها فراخا   وأمُّ الصقر مِقْلاةٌ نَزُورُ

قال الخليل : البغاث طير كالبواشيق لاتصيد شيئا ، والواحدة بغاثة ، وتجمع أيضا على البغثان ؛ الإقلات : أن تضع الناقة واحداً ، ثم يقلت رحمها فلا تحمل ، ويقال : امرأة مقلاة ، ونسوة مقاليت . وقال :

سَدِكِ الكفّ بالندى عائرُ السّمـــع إلى حيث صرخةُ المكروب

السَّدِك : المولَع بالشئ فى لغة طيّئ ، قال شاعرهم :

وودّعت القداحَ وقد أرانى   بها سَدِكاً وإن كانت حراما

ويقال : إنه سَدِكٌ بالرمح ، أى رفيق به سريع . فوجدناه قد سرق هذا من بيت لبعض الشعراء ، مدح به يحيى بن خالد البرمكى ، وهو :

رأيتُ يحيى حين ناديتُه   متّصل السمع بصوت المنادْ

وهو أجود من بيت الطائى ، وأسلم من التكلف ، وأمشى فى الإحسان . وقال :

جعلتَ الجودَ لألاءَ المساعى   وهل شمسٌ تكون بلاشعاع؟

كاد البيت أن يكون جيداً ، لولا أن فى لألاء المساعى بغضا . وقال :

مازال يُبرمُهُنّ حتى إنه   ليُقال ماخلق الإله سحيلا

انظر كيف ضعّف القول ، واضطرب ، قبحه الله . وقال يصف قصيدة :

فجعلت قيّمها الضمير ومُكّنتْ منه فصارت قيّماً للقيَمِ

هذا وأمثاله مما أنكره عليه إسحاق بن إبراهيم ، حتى قال له : لقد شددت على نفسك

وقال : فهو غَضُّ الإباء والرأى والحز م ، وغَضُّ النوالِ غَضُّ الشباب

ولا والله ما أدرى ما معنى : غضُّ التأبّى ولا غضُّ الرأى ، فى المدح :

وقال فى الغزل ؛ فلعن الله من واصله من الأحباب ، على هذا وأمثاله :

ومن قد شفّنى فصبرتُ حتى ظننت بأن نفسى نفس كلب

وقال :

جحدتُ الهوى إن كنتُ مذ جَمل الهوى محاسنَه شمسى نظرت إلى الشمس

وقال : كيف يصدُّ الدمعَ عن جرْيِه مَنْ عينُه من جرْيِه منخلُ

وقال : ليالينا بالرقتين وأرضها سَقى العهدَ منك العهدُ والعهدُ والعهدُ

وقال : إنَّ الأشاء إذا أصاب مشذّبٌ منه اتمهلَّ ذُرًى وأثَّ أسافلا

الشَّذَب : قشر الشجر ، والشذْب : المصدر ، والفعل يشذّب ، وهو القطع ، وكذلك تنحية الشىء عن الشىء ، والشوْذب : الطويل من كل شىء ، قال رؤبة :

* شُذّبٌ أخراهنّ عن ذات البهَقْ *

وذات البهق موضع . اتمهلَّ ذُرًى ، يريد طال ذُرًى ؛ والأشاء : صغار النخل ، والواحدة أشاءة ؛ ويقال : أثَّ يئثُّ أثاثة ، وهو نعت يوصف به كثرة الشعر والنبات ، وهذا من غريبه الشنيع . ومن ذلك قوله :

طالت يدى لما بلغتُك سالما وانحتَّ عن خدَّىَّ ذاك العِظلم

العظلم : عصارة شجر ربما دبغت به الجلود ؛ أفترى لو قال هذا رؤبةُ والعجّاج كم يكونان فيه بغيضين ثقيلين ، وهجا دعيًّا عنده فقال :

والله لو ألصقتَ نفسك بالغرى فى (كلب)[1] لاستيقنتُ ألا تلصقُ

(١) اسم قبيلة .

فأى شىء هذا من هجاء الفحول ، ولو تهاجت به الحاكة لما أمضّتْ . وقال :

وركب يُساقون الركابَ زجاجة من السَّيْر لم تقطِبْ لها كفُّ قاطب

سرقه من قول أبى نواس :

ركب تساقوا على الأكوار بينهم كأس الكرى فاستوى[1] المسق والساقى

والله تعالى أعلم

المطبوعون الأربعة

قال ابن المعتز[2] :

وأبو عُيَيْنة بن محمد بن أبى عيينة المهلبى[3] ، أحد المطبوعين الأربعة ، الذين لم ير فى الجاهلية والإسلام أطبعُ منهم ، وهم : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد [الحميرى] وأبو عيينة .

العباس بن الأحنف[4]

كان ابن المعتز يقول : لو قيل لى أى شعر أحسن ما تعرفه ؟ لقلت قول العباس ابن الأحنف[5] :

قد سحَّب الناسُ أذيال الظنون بنا وفرّق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدرى أنه صدقا

---

(١) ويروى : فانتشى .

(٢) ١٣٧ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٣) شاعر عباسى بصرى ، مطبوع ظريف غزل هجاء (٧/٢٧٥ مهذب الأغانى) .

(٤) ١/٤٦٢ ابن خلكان طبعة ١٢٩٩ هـ . وهذه برواية الصولى عن ابن المعتز وهى فى الأغانى أيضا جـ ٨ ص ٢٣ .

(٥) شاعر عباسى غزل توفى سنة ١٩٢ هـ .

بشـــار

كان بشار شاعراً مجيداً مفلقا ظريفاً محسناً[١] ؛ وكان أستاذ أهل عصره من الشعراء غير مدافع ، يجتمعون إليه وينشدونه ويرضون بحكمه ؛ وتشبيهاته — على أنه أعمى لا يبصر — من كل ما لغيره أحسن[٢] ؛ وكان بشار يعدُّ فى الخطباء والبلغاء ، ولا أعرف أحداً من أهل العلم والفهم دفع فضله ولا رغب عن شعره ، وكان شعره أنقى من الراحة ، وأصفى من الزجاجة ، وأسلس على اللسان من الماء العذب[٣] .

أبو نواس

قال ابن المعتز : وروى عن أبى هفان قال : كان أبو نواس آدب الناس وأعرفهم بكل شعر ، وكان مطبوعا لا يستقصِى ولا يحلل شعره ولا يقوم عليه ، ويقوله على السكر كثيرا ، لذلك يوجد فيه ما هو فى الثريا جودة وحسنا وقوة ، وما هو فى الحضيض ضعفا وركاكة[٤] ، وكان أبو تمام شغوفا بشعر مسلم وأبى نواس[٥] .

الحسين بن الضحاك

هو أحد المفتنين فى الشعر ، جيد المدح ، جيد القول ، جيد الهجو ، جيد المجون ، صاحب جد وهزل ، وهو عندهم فى نجار أبى نواس ، بل هو أنقى شعرا وأقل تخليطا منه ، وهو غلام أستاذه والبة[٦] .

---

(١) ص ٢ طبقات الشعراء لابن المعتز .
(٢) ص ٣ المرجع نفسه .
(٣) ص ٤ المرجع نفسه .
(٤) ص ٨٧ المرجع نفسه .
(٥) ص ١٣٤ المرجع نفسه .
(٦) ١٢٨ المرجع نفسه .

قدرة ابن المعتز على التشبيه

وكان يقول :

إذا قلتُ « كأنَّ » ولم آت بعدها بالتشبيه فغضّ الله فاى[١] .

شاعرية البحترى

وقال ابن المعتز :

لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته فى إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها وقصيدته فى وصف بركة المتوكل لكان أشعر الناس[٢] .

قال الصولى : سمعت عبد الله بن المعتز يقول :

لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته فى وصف إيوان كسرى ـ فليس للعرب مثلها ـ . وقصيدته فى صفة البركة « ميلوا إلى الدار من ليلى نحييها » ، واعتذاراته فى قصائده للفتح بن خاقان التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته فى دينار بن عبدالله[٣] التى وصف فيها مالم يصفه أحد قبله وهى التى أولها « ألم تر تغليس الربيع المبكر» وصفة حرب المراكب فى البحر ، لكان أشعر الناس فى زمانه ، فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ، ورقة تشبيبه[٤] فى قصائده[٥] .

وكان كثيرا ماينشد ويعجب من جودته :

---

(١) ٦٩٣/١ دائرة معارف البستانى ، ١٤٦/١ معاهد التنصيص طبعة ١٣١٦ هـ ، ومقدمة ديوانه

(٢) ٥٠٢ العصر العباسى للأستاذ محمود مصطفى طبعة ١٩٣٧ .

(٣) القصيدة فى ديوان البحترى [ص ٢٢ — ٢٤ / ٢ طبعة ١٩١١] يمدح بها كما فى الديوان أحمد بن دينار بن عبد الله ويصف مركبا كان اتخذه وهو والى البحر وغزا فيه بلاد الروم . فى ما نقله عن ديوان المعانى تحريف ، والصواب « فى ابن دينار » ـ ويشير إليها ابن الأثير فى المثل السائر (ص ٣٢٣) .

(٤) فى الأصل : تشبيه .

(٥) ٢١٨ / ١ ديوان المعانى لأبى هلال نشر القدسى ط ١٣٥٢ هـ ، ٦٣ و ٦٤ / ٢ المرجع نفسه ، ٧ و ٨ مقدمة ديوان البحترى طبعة مصر ١٩١١ م .

إذا زجرَ النوتيُّ فوق عَلاَتِهِ رأيتَ خطيباً فى ذُؤابة منـــبر

[إلى آخر هذه القصيدة][1] .

حول أبى الشيص

قال عبد الله بن المعتز :

قال لى أبو خالد العامرى : من أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيص[2] فكذبه ، والله لكأن الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان[3] ، كان أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك[4] .

قال عبد الله بن المعتز : وليس توجـد هذه الصفات فى ديوان شعره ولا هو بساقط ولـكن هذا سرف شديد[4] .

العـــلوى الشاعر

وكان عبد الله بن المعتز لهجا بذكر أبى الحسن محمد بن طبا طبا العلوى ـ وهوشاعر عالم ولد ومات بأصفهان عام ٣٢٢ هـ ـ مقدما له على سائر أهله ، وكان يقول : ما أَشْبَهَهُ فى أوصافه إلا محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، إلا أن أبا الحسن أكثر شعرا من المسلمى ، وليس فى ولد الحسن من يشبهه ، بل يقاربه[5] .

---

(١) ٦٤ / ٢ ديوان المعانى . وهى فى ديوان البحترى ص ٢٣ / ٢ .

(٢) شاعر عباسى مطبوع توفى سنة ١٩٦ هـ .

(٣) هامش ص ٧٠/٣ من البيان والتبيين للجاحظ طبعة ١٩٢٧ ، ٧/٢٤٦ مهذب الأغانى ط١٩٢٦ .

(٤) ٧/٢٤٦ مهذب الأغانى .

(٥) معجم الأدباء نشر مرجليوث ٦/٢٨٥ .

ربيعة الرقى

وقال ابن المعتز : كان ربيعة الرقى أشعر غزلا من أبى نواس ، لأن فى غزل أبى نواس بردا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل[١] .

وقال : وشعر ربيعة الرقى فى الغزل يفضل على أشعار هؤلاء من أهل زمانه جميعا ، وعلى كثير ممن قبله ، ولا أجد أطبع ولا أصح غزلا من ربيعة[٢] .

أربعة شعراء

وكان ابن المعتز يقول : أربعة من الشعراء سارت أشعارهم بخلاف أفعالهم .

فأبو العتاهية : سار شعره بالزهد وكان على الإلحاد .

وأبو نواس : سار شعره باللواط ، وكان أزنى من قرد .

وأبو حكيمة الكاتب : سار شعره بالعُنَّة ، وكان أهبَّ من تَيْس .

ومحمد بن حازم : سار شعره بالقناعة ، وكان أحرص من كلب[٣] .

شعر أبى تمام

وقال الآمدى فى الموازنة : وأنشد أبو العباس ابن المعتز فى كتاب «سرقات الشعراء» لسلم الخاسر ، يعيبه بردىء الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى :

لو لا المقابر ماحط الزمان به   لا ، بل تولّى بأنف كلّمهُ دامى

وقال : هذا ردىء كأنه من شعر أبى تمام الطائى ، ولو لم يكن لأبى تمام من ردىء الاستعارة[٥] مثل استعارة سلم هذه أو نحوها ، ونعوذ بالله من حرمان التوفيق .

---

(١) الأغانى ٣٧ / ١٥ ، آداب اللغة لزيدان ٩٣ / ٢ .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز نشر عباس إقبال ص ٧٠ .

(٣) ٢٢٤ / ٢ شذرات الذهب ، ٤٦٢ / ١ ابن خلكان طبعة ١٢٩٩ هـ .

(٤) ١٢٠ موازنة ، وذكر بعض هذه الرواية فى تاريخ النقد الأدبى عند العرب لطه إبراهيم (ص ١٨٥ ط ١٩٣٧) .

ابن مناذر (١)

وقال الآمدى : ذكر أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتابه المؤلف فى « سرقات الشعراء ومعانيهم » عن العنزى عن السلمى الزارع عن ابن أبى عائشة ، قال :

قال أبو العتاهية لابن مناذر : إن كنتَ أردتَ بشعرك شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئاً ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا (٢) .

مسلم بن الوليد (٣)

وقال ابن المعتز : لا يتفق لشاعر مثل ما اتفق لمسلم فى هذا المعنى فى ألف سنة وهو قوله :

وإنّي وإسماعيل حين فقدتُه ... لكالغمد يوم الروع فارَقَه النصلُ

فإن أغشَ قوماً بعده أو أزورُهم ... فكالوحشِ يدنيها إلى الأنس المحلُ

أحسن الشعر

قال ابن المعتز :

قيل لمجنون : ما أحسن الشعر ؟ قال : ما لم يحجبه عن القلب شىء (٤) .

حول أبى تمام

قال صاحب الموازنة (٥) : قال ذو الرمة يصف الحمار :

إذا شمّ أنف الضيف ألحقَ بطنه ... مراسَ الأواسى وامتحانَ الكرائم

---

(١) ١٢٩ موازنة .
(٢) راجع الرواية بتفصيل فى الأغانى ٣ / ١٦٥ .
(٣) هامش ص ١٧٥ وساطة .
(٤) العمدة (١/١٠٣ ط ١٩٣٤) ، وراجع أصل الرواية فى البديع لابن المعتز (ص ٣٨)
(٥) راجع الموازنة ص ١١٧ .

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء : وهذا البيت غرّ الطائىّ حتى أتى بما أتى به[١] ؛ وإنما أراد ذو الرمة بقوله « أنف الضيف » كقولهم « أنف النهار » أى أوله ، قال امرؤ القيس :

قد عدا يحملنى فى أنفه   لاحقُ الأطلين محبوكٌ مُمِرّْ

وقوله « فى أنفه » : أى فى أول جرْيه ، قال صاحب الموازنة : ويقال فى أنفه أى فى أنف الغيث الذى ذكره فى أوله ، يقول : لم يطأ هذا الغيث أحد قبلى ، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس .

آل مروان بن أبى حفصة

ومكانتهم فى الشعر[٢]

قال الصولى : كنا يوما عند عبد الله بن المعتز ، فقرأ شعرا لمتوَّج بن محمود بن مروان الأصغر ابن أبى الجنوب بن مروان الأكبر ، وكان شعرا رديئاً جدا فقال :

أشبه لكم شعر أبى حفصة ، وتناقصه حالا بعد حال ، فقلنا : إن شاء الأمير ؛ فقال : كأنه ماء أُسخن لعليل فى قدح ، ثم استغنى عنه ، فكان أيام مروان الأكبر على حرارته ، ثم انتهى إلى عبد الله بن السمّط ، وقد برد قليلا ، ثم إلى إدريس بن أبى حفصة وقد زاد برده ، وإلى أبى الجنوب كذلك ، وإلى مروان الأصغر وقد اشتد برده ، وإلى أبى متوج هذا وقد ثخن لبرده ، وإلى متوج هذا وقد جمد فلم يبق بعد الجمود شىء .

حول شعر لذى الرمة

ذكر ابن رشيق بيت ذى الرمة :

كأن البُرَى والعاجَ عِيجَتْ متونُه   على عُشَرٍ نَهّى به السيلَ أبطحُ[٣]

(١) أى من استعارات قبيحة .

(٢) ٣٠٣ الموشح ، ١١٦ و ١١٧ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٣) راجع شرحه فى هامش ص ٥٧ من البديع لابن المعتز طبعة ١٩٤٥ .

وقال : قال ابن المعتز : نهى به السيل أى بلغ به إليــه فهو أفم له وأكثر لدونة . وأنا أقول : معناه ترك به السيل نهياً ، وهو الغدير ، وذلك أتم لما أراده ابن المعتز ، اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك ، فإنه أتم وأجود[١] .

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً و يقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه[٢] .

أبو الهندى

وقال ابن المعتز : وكان شعر أبى الهندى كله حسناً جيداً لاسيما إذا قال فى الشراب[٣] وكان جماعة مثل أبى نواس والخليع وأبى هفان وطبقتهم ، إنما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبى الهندى ، وبما استنبطوا من معانى شعره[٤] .

نقد[٥]

وقال الصولى : قال لى يوما ابن المعتز : من أين أخذ أشجع قوله :

وليس بأوسعهم فى الغــنى ولــكنَّ معروفه أوســع

فقلت من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولــكن كان أرحبهم ذراعا

فقال : أصبت ، هكذا هو .

امرؤ القيس[٦]

قال عبد الله بن المعتز : عيب على امرئ القيس قوله :

أغرَّكِ منى أن حبك قاتلى وأنكِ مهما تأمرى القلب يفعل

---

(١) ١ / ٢٩٣ عمدة .
(٢) العمدة ٢٤٥ / ٢ .
(٣) ص ٦٠ طبقات الشعراء لابن المعتز .
(٤) ٦١ المرجع السابق .
(٥) ٨٣ و ٨٤ الأوراق — قسم أخبار الشعراء الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ .
(٦) الموشح للمرزبانى ص ٣٤ وما بعدها طبعة السلفية عام ١٣٤٣ هـ .

قال : وقالوا : إذا لم يغرّها هذا ، فأى شىء يغرّها ؟ قال : وإنما هذا كأسير قال لمن أسره : « أغرّكَ منى أنى فى يديك » ؛ ونحوه قول جرير :

أغرّكِ منى أنما قادنى الهوى إليكِ وما عهدٌ لكُنَّ بدائم

قال : وعابوا على امرئ القيس :

لها ذَنَبٌ مثلُ ذيلِ العروسِ تسدُّ به فرجَها من دُبُرْ

وقالوا : ذيل العروس مجرور ، ولا يجب أن يكون ذنب الفرس طويلا مجروراً ، ولا قصيراً[1] ، قالوا : والصواب قوله :

ضليعٌ إذا استدبرْتَه سدَّ فرجَهُ بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعزلِ

قال : وذكروا أن الأصمعى عاب عليه قوله :

وأركبُ فى الرَّوع خَيْفانةً كسا وجهها سَعَفٌ منتشرْ

وقال : إذا غطَّت الناصيةُ الوجه لم يكن الفرس كريما ، والجيدُ الاعتدال ، كما قال عبيد :

مُضَبَّرٌ خلقُها تضبيرا ينشقُّ عن وجهها السَّبَبْ

قال : وقال مؤدِّبى أبو سعيد محمد بن هبيرة فى قول امرئ القيس :

وللسَّوْط منها مجالٌ كما تنزَّلَ ذو بَرَدٍ مُنْهَمِرْ

وهذا أيضا ردىء مالها وللسوط ؟ قال : وعيب عليه قوله :

* فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رسمُها *

ثم قال : وهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

قال : ومثله قول زهير :

* قِفْ بالديار التى لم يَعْفُها القدَمُ *

ثم قال : بلى وغيَّرها الأرواحُ والدِّيَمُ

---

(١) رد الآمدى فى الموازنة هذا النقد [راجع ص ١٦٠ من الموازنة ؛ ثم قال : وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرىء القيس فيما بينته من سهو أبى العباس عبدالله بن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط فى كتابه الذى جمع فيه « سرقات الشعراء » [ص ١٦١ الموازنة] .

فذكرت الرواة أنه أكذبَ نفسه ؛ وقال أبو سعيد مؤدِّبي : وأخسُّ من إكذابه نفسه أن يكون جعل عُفُوَّها خُلُوَّها ممن أحبته ، ومع خلوها منهم فقد غيّرتها الأمطار [١] .

قال : وعيب على امرئ القيس قوله :

فقلتُ له لما تمطَّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فانسلخَ البيت الأول بوصف الليل ، من غير أن يذكر ما قال ، وجعَلَه متعلقاً بما بعده وذلك معيب عندهم .

قال : وعيب أيضا على امرئ القيس فجورُه وعهرُه فى شعره كقوله :

ومثلك حُبْلى قد طرقتُ ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم مُحول

إذا ما بكى من خلفها انصرفتْ له بشِقٍ وتحتى شِقُّها لم يُحَوَّل

وقالوا هذا معنى فاحش .

النابغـــة [٢]

قال عبد الله بن المعتز : عيب على النابغة قوله فى وصف النعام :

* مثل الإماء الغوادى تحملُ الحزَما *

قال الأصمعي : إنما توصف الإماء فى هذا الموضع بالرواح لا بالغـدوّ ، لأنهنّ يجئْنَ بالحطب إذا رُحْنَ ، وأنشد للأخنس بن شهاب :

تظلُّ به رُبْدُ النَّعام كأنها إماءٌ تُزَجَّى بالعشىِّ حواطبُ

لأن النعامة إذا خفضتْ عنقها ومشت كانت أشبه شئ بماشٍ وعلى ظهره حمل .

وعابوا قول النابغة أيضا :

---

(١) يرد صاحب العقد الفريد على هذا النقد فى كتابه (٤١٦ / ٣ العقد طبعة ١٩٢٨) ، ويعد علماء البديع مثل هذا لونا من ألوان البديع يسمونه « الرجوع » .

(٢) الموشح ص ٤٣ وما بعدها .

وكنتُ امرأ لاأمدحُ الدهرَ سُوقةً فلستُ على خيرٍ أتاكَ بحاسدِ

قال [ابن المعتز] : قالوا كيف يحسده على ماقد جاد به له .

قال : وعابوا قوله : « فاحكم كحكم فتاةِ الحيِّ » .

وقالوا : أمره أن يحكم كحكم امرأة .

قال : وعابوا عليه اختلاف القوافى فى الإعراب ، وذلك قوله :

* يا بُؤسَ للدهر ضَرَّاراً لأقوامِ *

وقوله : * لا النورُ نورٌ ولاالإظلامُ إظلامُ *

وقوله : « غيرَ مُزَوَّدِ » ، ثم قال : « الغرابُ الأسودُ » .

زهير [1]

قال عبد الله بن المعتز : حكى عن ابن سلام أنه قال : مما قُدِّمَ به زهيرعلى الشعراء أنه كان أبعدهم من سُخْفٍ ، وأشدَّهم اجتنابا لحوشِيِّ الكلام ، فأى شىء نصنع بقوله :

ولولا عَسْــبُه لرددتموه وشرُّ مَنيحةٍ أيْرٌ مُعارُ

إذا جمُعت نساؤكمُ إليــه أشظَّ كأنه مَســدٌ مُغارُ

أشظَّ : قام . قال : فهذا السخف . وأما حوشىُّ الكلام فقوله :

* فلست بمثلوج ولا بمُعَلْهج *

يريد الدعىّ ، وقيــل : المثلوج البليد ، والمعلهج الأحمق . وقوله :

* بنهكةِ ذى قربى ولا بحقلَّدِ *

والحقلَّد : السيىء الخلق ، وقيل القصير الجبان .

قال : وعابوا عليه قوله فى الضفادع :

يخرجن من شَرَباتٍ ماؤُها طحِلٌ على الجذوع ، يخفْنَ الغمْرَ والغرَقا

---

(١) الموشح ص ٤٧ وما بعدها :

لأن الضفادع لاتخرج من الماء لأنها تخاف الغمر والغرق ، وإنما تطلب الشُّطوط لتبيض هناك وتفرخ .

قال : وأنكروا عليه قوله :

* ماءٌ بشرقيِّ سلمى فَيْدُ أو رَكَكُ *

لأنه حكى عن بعض الأعراب أنه قال : إنما هو « رَكٌّ » .

قال : وقال مؤدبى أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى فى قول زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تُصِبْ ... تُمِتْهُ ومن تُخطئْ يُعَمَّر فيهرَم

إنه كان يسمع من المشايخ يقولون : هذا بيت زندقة ، وهو بعيد من أبياته التى يقول فى بعضها :

فيرفع فيوضع فى كتاب فيدَّخر ... ليوم الحساب أو يُعجَّل فينْقَم

قال : وأعجب من زهيرٍ خطأً فى هذا المعنى — لأن زهيرا كان جاهليا كافراً — زيادُ ابن قنيع النصرى ، فى سرقته هذا المعنى ، لأنه فى أكبر ظنى مسلم ، حيث يقول :

رأيتُ المنايا خبْطَ عشواء من تُصِب ... يَصِرْ حَرَضاً من عَرْكِها بالكلاكل

الأعشى [١]

قال عبد الله بن المعتز : عابوا على الأعشى قوله :

ونُبِّئتُ قيساً ولم آته ... وقد زعموا ساد أهل اليَمَنْ

فعابوه بهذا الشك ، ويقال إن قيسا أنكر ذلك عليه ، فجعل مكان « وقد زعموا » : « على نأيه » .

قال : ومما استضعف من معانيه قوله :

فرميتُ غفلةَ عينه عن شاته ... فأصبت حبةَ قلبها وطحالَها

---

(١) الموشح ص ٥٦ وما بعدها .

وقد عابه قوم بذلك ، لأنهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردد كثيراً فى الشعر ، عند ذكر الهوى والمحبة والشوق ، وما يجده المغرم فى هذه الأعضاء من الحرارة والكرب ولم يجدوا الطحال استعمل فى هذه الحال ، إذ لاصنع له فيها ، ولا هو مما يكتسب حرارة وحركة ، فى حزن ولا عشق ، ولا برداً وسكوناً فى فرح أو ظفر ، فاستهجنوا ذكره .

قال : وعابوا عليه الإيطاء فى قوله :

* وهل تطيق وَداعا أيها الرجـــل *

وقوله : * ويلى عليك وويلى منك يارجل *

قال : وعابوا عليه استعماله الألفاظ الأعجمية فى شعره ، وأنكروا عليه قوله :

لو أسندتْ ميتاً إلى نحرها عاش ولم يُنْقلْ إلى قابرِ

قال : وأخبرنى بعض شيوخنا أنه أدرك الناس وهم يزعمون أن هذا البيت أكذب بيتٍ قالته العرب .

حول امرئ القيس

وروى ابن المعتز قول الأخطل :

تدبُّ دبيباً فى العظامِ كأنها دبيب نمال فى نقا يَتَهيَّلُ

وقول أبى الهندى :

ولها دبيب فى العظام كأنه فيض النعاس وأخذُه فى المفصل

ثم قال : قال أبو العباس [ابن المعتز] وذاكرنى أمير المؤمنين المعتضد بالله فقال لى : من أين أخذه أبو الهندى ؟ فقلت من قول منصور بن بحر فى وصف سيف :

وكأن موقعه بجمجمة الفتى خدر المدامة أو نعاس الهاجع

قال لى : أحسنت ، فمن أين أخذه الأخطل ؟ فقلت : لاعلم لى يأمير المؤمنين ، فقال : أول الناس إحسانا فى وصف لطف الدبيب امرؤ القيس :

سموت إليها بعد مانام أهلها سموّ حباب الماء حالا على حال

فقلت يأمير المؤمنين : من هنا والله أخذ القوم أجمعون هذا المعنى وأوردوه بألفاظ مختلفة [١] .

مجلس نقد [٢]

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : سألت محمد بن يزيد [٣] عن قول المسيب بن علس :

وصهباء تَستَوشِي بذى اللبّ مِثلَهَا قرعت بها نفسى إذا الديكُ أعتَمَا

تمزّزتُها صِرفاً وقارعتُ دَنَّها بعـــــودِ أراكٍ هزّه فترنّما

فلم يجب فيه بجواب أرتضيه . ثم سألت عنه أبا أحمد عبيدالله [٤] بن عبد الله بن طاهر فى دار أمير المؤمنين المعتضد بالله [٥] ، فقال لى معنى « تستوشى » أى تستخرج ماعند ذوى اللب ، مَثَلَها به ، وذلك كما تقول : استوشيتُ الحديثَ من فلان ، أى استخرجته وقوله « قرعت بها نفسى » أى شربتها فقرعتْنى ، ويقال « ابتدأتُ بها نفسى » ، ويروى أيضا مثلها ، ثم وقف عن تفسير « قارعتُ دَنّها » . وخرج أمير المؤمنين من دار الخلوة ونحن فى المنازعة ، فأمر بكتب رقعـة إلى أبى العباس أحمد بن يحيى [٦] ؛ فورد الجواب مسنداً عن أبى عمرو بن العلاء أن المعنى : ضربت دَنّها بهذا العود فإذا طنّ علمتُ أنى قد شربتُ مافيه وفرغته ، وعن الأصمعي أن المعنى : أنّي غنيتُ ووقّعت بعود الأراك

(١) س ٢٠ و ٢١ فصول التماثيل ط ١٩٢٥ .
(٢) راجع فصول التماثيل فى تباشير السرور لابن المعتز س ٤٥ وما بعدها .
(٣) هو المبرد . م عام ٢٨٥ هـ .
(٤) شاعر أمير توفى سنة ٣٠٠ هـ .
(٥) تولى الخلافة من عام ٢٧٩ إلى عام ٢٨٩ هـ .
(٦) هو ثعلب المتوفى عام ٢٩١ هـ .

على الدن فترنّم ، أى رفع صوته . وأنشدنا أمير المؤمنين قول الحكمى[١] ـ وسألنا عن المعنى فيه ـ :

يا شقيقَ النفس من حكمٍ   نِمْتَ عن ليـــلِى ولم أنمِ

فاسقِنِى البِكْرَ التى اختمرَتْ   بخمار الشيب فى الرَّحِمِ

فقال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : غُثاء الزَّبد الطافى على الشراب فى رأس الدَّنّ ، فقال ابن حمدون : يا أمير المؤمنين إن الشراب يطفو عليه فى الدَّنّ شىء أبيض ، فلعلَّه أراد معناه . وقال ابن الطيب : عَنَى يا أمير المؤمنين نَسْجَ العنكبوت على الدَّنّ ، فقال لى : ماتقول يا عبد الله ؟ فقلت : الصواب لا يخرج عن أحد هذه الوجوه يا أمير المؤمنين . فقال لنا : قرأتُ بخطِّ المأمون أن الكرْم أوّل ما يجرى فى عوده الماء يبدو فيه نقط ، فجعلها الحكمىُّ قِناعا من الشيب لبياضها وهى بعدُ فى ضمير القضيب ؛ وكتبناه بأجمعنا عن المأمون[٢] .

حول التصحيف

قال أبو بكر الصولى :

قال لنا عبد الله بن المعتز يوما وليس معنا يحيى بن على المنجم :

أما تعلمون أن أبا عمرو بن العلاء والأصمعى وأبا عبيدة وسائر علماء البصرة والكوفة قد حكى عنهم غلط وتصحيف ؟ كما يقال : إنما العالِمُ من أحصى غلطه وزلله .

قلنا له : نعم ، مامن أحد إلا وقد حفظ عليه شىء من ذلك .

---

(١) أبو نواس الشاعر المتوفى سنة ١٩٨ هـ .

(٢) وقد اختلف فى معنى البيت أيضا بحضرة الرشيد ، فقيل المراد بخمار الشيب فى الرحم أن الخمر تكون فى جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها ، وقيل غير ذلك ، فقال الأصمعى : إن أبا نواس ألطف خاطراً من هذا وأسد غرضا فاسألوه فأحضره الخليفة وسئل فقال : إن الكرم لأول ما يجرى فيه الماء يخرج شبيها بالقطنة وهى أصل العنقود [راجع ١٢٢ المثل السائر و١٥٤ الكشكول] .

فقال : أفترونى فى العلم فوق هؤلاء ؟ تحدثت يوما ، فذكرت يوم بُعَاث[١] ، فقلت : يوم بغاث ، وكنت قرأت ذلك فى كتاب ، عَلَى غَلَطٍ ممن كتبه ، فسمع ذلك يحيى بن على فطار به فى الناس ، ثم لم يرض بذلك ، حتى عمل رسالة يعذرنى – زعمَ – فيها ، ويذكر من صحّف ؛ وما سمع هذا غيره وغير اثنين كانا عندى ، وما كان ليسمع هذا أحد فيشهره علىّ ، وما أشاعه عنى غيرُه ، ثم تحمّدَ علىّ بأنه عمل رسالة يعذرنى فيها ، فنادى علىّ بها فى الناس ، وما هذا آخر فعلنا به ، واصطناعنا له ولأبيه وجده[٢] .

---

(١) من أيام العرب فى الجاهلية بين الأوس والخزرج قبل الإسلام بقليل (٢٨٦ — ١/٢٨٨ الكامل لابن الأثير) .

(٢) ورقة ٣١ الأوراق قسم أخبار المقتدر مخطوط بمكتبة الأزهر .

القسم الثاني

رسائل ابن المعتز الأدبية
وآثار أخرى

تهنئة (١)

كتب ابن المعتز يهنئ الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب بقدومه :

الحمد لله على ما امتنّ به فى الوزير أعزه الله ، من جميل السلامة ، وحسن الإيابة ، حمداً يستمد أمر مزيده ، و إخلاصاً مستدعياً لقبوله ، وبارك الله له فى قدومه ومسيره ، فى جميع أموره ، وجعل له منة وافية على نعمه ، وأبقاه لملك يحرسه ، ومؤمل يُنعشه ، وعاثر يرفعه ، وحفظ له ماخوّله ، كما حفظ له ما استرعاه ، ووفقه فيما طوّقه ، وزاده كما زاد منه .

تعزية (٢)

وكتب يعزى الوزير عبيد الله بن سليمان عن ابنه أبى محمد :

عِلْمُ الوزير ، أيده الله بذخائر الأجر ، يُغنى عن تعزيته (٣) فيه ؛ وسبْقُه إلى الصبر يكفينى تذكرة به ؛ لكن لولىّ الوزير — أيده الله — موضعٌ ، إن خلاّه دخل فى جملة المُضيعين لحقّه ، اللاهين عما عناه ؛ وقد كان من قضاء الله فى أبى محمد رضى الله عنه ، ماخصت به المصيبة مواقع نِعَمِ الوزير ، وآثار إحسانه ، حاشا لله ، إقراراً بالحق ، وتنجيزاً للوعد . وعظم الله أيها الوزير أجرك ، ووفَّر ذخرك ، وعمر بقيتك ، وكثر عددك ، وسرّك ولا ساءك ، وزادك ولا نقصك ، ووصل بسلام الزمان نعمتك ، وأولاك ما تحب فيما خولك ، وكل مصيبة وإن عظمت صغيرة فى ثواب الله عليها ، ضئيلة بين نعم الله قبلها وبعدها ، وما زال أولياء الله يعرضون على المحن فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بالشكر ،

---

(١) ص ٢٨٨ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء طبعة ١٩٣٦ بمطبعة الصاوى ، وقد أخطأ فى اسم الوزير ، حيث ذكره عبد الله ؛ لا عبيد الله ، وعبيد الله وزر للمعتمد والمعتضد وتوفى عام ٢٨٨ هـ

(٢) ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ الأوراق .

(٣) فى الأوراق : نزعته ، وهو تحريف .

وتنفذ بصائرهم مذموم أوائلها إلى محمود عواقبها ، ويعدونها مراقىَ إلى شرف الآخرة ، ومراتب لأهل السعادة ، فى دار لاتلجها الهموم ، ولايزول فيها النعيم ؛ وإذا تأمل الوزير ماتجاوزت هذه الحادثة عنــده من النعم فى ولده أبى الحسين ، الذى قد نهض بمـا حمله ، ووفى آماله ، ، وأقر عينه ، وغاظ حاسده ، واكتسى لباس كرامته ، وقام للخلافة بخلافته علم أنه راع على الدهر ، حقيق يتجاوز الصبر إلى الشكر ؛ فجعل الله الخلف للوزير من المـاضى طول عمر الباقى ، وحرسه من المـكاره كلها ، وكفاه وكفانا فيه .

وقال[١] : إنمـا قلبى[٢] نجىُّ ذكرك ، ولسانى خادم شكرك .

تعزية بولد[٣]

لئن حرم الأجر ببرك ، لقد كفى الإثم بعقوقك ؛ ولئن فجعت بفقده ، لقد أمنت الفتنة به .

عذر مقبول[٤]

وقال : كيف أرد عذر من لاتهتدى إليه الموجدة ، ولا تتسلط عليه التهمة ؛ ووالله ماعرضت لك ، وحركت منك ، إلا بخلا بمـا ذخرته من مودتك ، واعتمدت عليه من إخلاصك ، لخوفى مع ذلك أن تصـير غفلتك تغافلا ، وذلتك تعمداً ، وهذا مالا أحبه لك ، وإن كنت أحتمله منك ؛ وما أعتذر من مطالبتك بمـا جعلك أهلا للمعرفة به ، وجعلنى بودك مستحقا له .

وقال[٥] : موصل كتابى فلان ، وقد جعلت الثقة بك مطيته إليك ، فلا تنضها بمطالك ، وأسرع ردها بسابق إنجازك ، وتصديق الأمل فيك ، والظن بك .

(١) ٢٨٩ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٢) فى الأوراق : قلمى .
(٣) ٢٩٠ الأوراق .
(٤) ٢٩٠ »
(٥) ٢٩٠ الأوراق .

تعزية(١)

الخلود فى الدنيا لايؤمل ، والفناء لايؤمن ، ولاسخط على حكم الله ، ولا وحشة مع خلافته ، والأنس بطاعته ، فأدِّ ما استردَّ صابرا ، وأصبحْ لما استرجع مسلّما ، فإنَّ من علم أن النعمة تفضل من واهبها ، شكرَها مقبلة ، وصبر عنها مولّية ؛ جعلك الله محتملا للنعمة ، مؤديا للشكر ، صابرا عند المحنة ، محفوظاً موفور أجرها ، والفوز بالصبر عليها .

سلوى(٢)

وكتب ابن المعتز :

قد علمتنى نبْوتُك سلوتك ، وأسلمنى اليأس منك إلى الصبر عنك .

إلى صديق

وكتب أيضاً :

حفظ الله النعمة عليك وفيك ، وولى إصلاحك والإصلاح لك ، وأجزل من الخير حظَّك ، ومنَّ عليك وعلينا بك(٣) .

دعاء بالشفاء

وكتب إلى عليل :

مسحك الله بيد العافية ، ووجّه إليك وافد السلامة ، وملاَّك ما أفادك ، وهنأك ماقسم لك ، وأمتع بك وليّك ، وألان لك طاعة عدوك ، وجمّلَ الدولة ببقائك ، وزيّنها بدوام نعمائك(٤) .

---

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ الأوراق .
(٢) ٩٧ / ٢ ديوان المعانى .
(٣) ١٠٠ / ٢ المرجع نفسه .
(٤) المرجع نفسه ١٠٠ / ٢ وما بعدها .

فصــل [١]

قد ملت إليك فما أعتدل ، ونزلت بك فما أرتحل ، ووقفتُ عليك فما أنتقل .

فصــل [٢]

لولا أن الإطناب فى وصفٍ مطيّة للمتخرص ، وتهمة المتخلص ، لأطلتُ به كتابى ؛ وكفى بمقاساة ذى النقص مذكرا بأهل التمام ، وقد لبثت بعدك بقلب يودُّ لو كان عيناً ليراك ، وعين تود لو كان قلباً فلا تخلو من ذكراك .

وفاء [٣]

وقال : كيف ينقطع ذكرى لك ، بغــير خلف منك ، وينصرف قلبى عنك ، والتجارب تزوى إليك ، والله يعلم أن خيالك شمس نفسى إذا نمت ، وذكرك سراجها إذا انتبهت ، وإن ذلك لأقلُّ حقوقك ، ولا ظلمت غيرك بك ، ولا ملت عليك لك .

ذم [٤]

ذكرت حاجة فلان ، لافضّها الله بالنجاح ، ولايسّر بابها لانفتاح ؛ ووصفتَ عذراً له ، نصح به غيرُ نفسه ، وما نصح عنها ، ولكنه نصح عليها ، وأنا والله أصوّبك عنه ، وأنصح لك فيــه ، فإنه خبيث النية ، فاسد الطوية ، جائر المعاتب ، طالب المعائب ، يقلب لسانه بالملق ، ساتر بالتخلق وجه الخُلُق ، موجود عند الرجاء ، مفقود مع البلاء ، فأتعبْ عقلك باختباره [٥] ، ولا توحش نعمتك باصطناعه .

---

(١) ٢٩١ الأوراق قسم أخبار الشعراء .
(٢) ٢٩١ « .
(٣) ٢٩١ « .
(٤) ٢٩١ الأوراق .
(٥) فى الأصل : باختياره .

شوق[١]

إنى لآسف على كل يوم فارغ منك ، وكل لحظة لاتؤنسها رؤيتك ، وسقياً لدهر كان موسوما بالاجتماع معك ، معموراً بلقائك ؛ جمع الله شمل سرورى بك ، وعمر بقائى بالنظر إليك .

شفاعة[٢]

من عظمت النعمة عليه ، كثرت الرغبة إليـه ، فاستجلبْ بالإنعام منك إنعامَ الله عليك ، واستردَّ مانهب منك بمـا يهب لك ، واجعل حظى من ولايتك قبول اختيارى لك هذا الرجل ، واخلطه بأوليائك القائلين فى ظلك ، فقد أفردك رغبته ، وصرف إليك وجه رجائه ، وليس فيه فضل للانتظار ، ولا بقية للإذكار ، فعجِّلْ إن نويتَ جودا ، وبادر إن نويت صنعا ، ولا تـكن ممن ولايته وعد ، وصرفه اعتذار .

فراق[٣]

كأن الدهر أبخل من أن يملينى بك ، وأنـكد من أن يسوغنى قربك ، ؛ وإنى له لصابر إلا على فقدك ، وراض إلا ببعدك .

تهنئة بمولود[٣]

اتصل بى خبر مولودك ، فسرنى لك ماسرك ، وأنا أسأل الله أن يتبع النعمة به عليك ببقائه لك ؛ وأن يعمرك حتى ترى زيادة إليه منه ، كما رأيتها به .

دعاء[٤]

قال : تولى الله عنى مكافأتك ، وأعان على فعل الخير نيتك ، وأصحب بقاءك عزاً ،

(١) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٩٢ .
(٢) ٢٩٣ الأوراق .
(٣) ٢٩٣ الأوراق .
(٤) ٢٩٤ الأوراق .

سط يدك لوليك ، وعلى أعدائك ، وكلاءة تذبُّ عن ودائع مننه عندك ، وزاد فى نعمك وإن عظمت ، و بلغك آمالك و إن انفسحت .

وقال[1] : لا أزال الله عنا ظلك ، وأعلى فى شرف المنازل مرتقاك ، ولا أعدمنا فيك إحسانا باقياً ، ومزيداً متصلا ، ويوما محموداً ، وغداً مأمولاً ، وعزا يمكن قبضتك ، ويمد بسطتك .

تعزية[1]

عارية سرك الله بمدتها ، وآثرك بثوابها ، وأثابك عند ارتجاعها ، فأبشر بعاجل من صنعه ، وآجل من جزائه ومثوبته .

عظم الله أجرك ، وجعل الثواب عوضك ، ووفقك لنيل مرضاته ؛ و إنا لله ، قولاً بما علم ، تنتجزُ به ماوعد .

دعوة بالشفاء

وله فى عليل :

آذن الله فى شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية إليك ، ووجّه وافد السلامة إليك ، وجعل علّتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك[2] .

وتنسب لابن الرومى [راجع ٩٧ ابن الرومى للعقاد ، ١٤٩ مجموعة النظم والنثر] .

نصيحة

وكتب إلى بعض الرؤساء :

لا تَشِن حسنَ الظفَر بقبح الانتقام ، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من الأعذار طريقاً ، حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا ، ولم يسر ميلا ، حتى اتخذ حسن الظن دليلا[3] .

---

(١) ٢٩٤ الأوراق .

(٢) زهر الآداب ٢٣٦ / ١ ، وقد مضت برواية أخرى عن ديوان المعانى ، وهى فى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء مع اختلاف قليل (ص ٢٩٠) وفى الريحانة للشهاب الخفاجى أيضاً (ص ٣٢٢) .

(٣) ١/٢٢٧ زهر ، و ٣٢٢ الريحانة للشهاب الخفاجى ، و ٢٩٣ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء مع بعض تغيير فى الرواية .

اعتذار

وكتب يعتذر إلى القاسم بن عبيد الله[1] :

ترفع عن ظلمى إن كنت بريئاً ، وتفضلْ بالعفو إن كنتُ مسيئاً ؛ فوالله إنى لأطلب عفوَ ذنبٍ لم أجْنِه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطوُّلا ، وأزداد تذلُّلا ، وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ؛ وأسأل الله تعالى أن يجعل حظى منك بقدر ودّى لك ، ومحلّى من رجائك ، بحيث أستحق منك[2] .

وله إلى القاسم أيضاً :

لو كان فى الصمت موضع يسع حالى لخففت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجها من فكره ، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حالته ، كان فى الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرنى على ستر أمرى حتى خذلنى[3] .

حكمة فى رسالة

وكتب ابن المعتز إلى أحمد بن محمد[4] جوابا عن كتاب استزاده فيه :

قَيِّدْ نعمتى عندك بما كنت استدعيتها به ، وذب عنها أسباب سوء الظن ، واستدِمْ ما تحب منى بما أحب منك[5] .

---

(١) ولى الوزارة للمعتضد عام ٢٨٨ بعد وفاة والده عبيد الله ، وتوفى عام ٢٩١ هـ .

(٢) زهر الآداب ٢٢٧ / ١ ، والأوراق ص ٢٩٢ مع تغيير فى الرواية ، وتنسب لابن الرومى [١٠٩ / ١ معراج البيان ، ٩٧ ابن الرومى للعقاد ، ١٥٠ مجموعة النظم والنثر] .

(٣) زهر الآداب ٢٢٧ / ١ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن سعيد الدمشقى أستاذ ابن المعتز وكان أديباً عالما راوية توفى عام ٣٠٦ هـ [راجع ١٣٣ / ١ معجم الأدباء لياقوت نشر مرجليوث] ، وهذه الرسالة فى المعجم (ص ١٣٤ / ١) مع تغيير قليل فى الرواية ، وله ترجمة أيضاً فى تاريخ بغداد (١٧١ / ٤) .

(٥) زهر ٢٦٦ / ٢ .

وكتب إليه جوابا عن اعتذار كان من الدمشقى فى أمر بلغ ابن المعتز عنه :

والله لاقابلَ إحسانك منى كفر ، ولا تبع إحسانى إليك من ؛ ولك عندى يد لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ؛ فتجنب مايسخطنى ، فإنى أصون وجهك عن ذل الاعتذار[١] .

اعتذار من وشاية

وكتب إلى بعض الوزراء[٢] :

مازال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب الحبائل ، ويطلب الغوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك شيئا زخرفه ، وكذبا زوّره ، وكيف الاحتراس ممن يحضر وأغيب ، ويقول وأمسك ؟ مرتصد لايغفل ، وماكر لايفتر ؛ وربما استُنْصِح الغاشّ ، وصُدِّق الكاذب ، والحظوة لاتدرك بالحيلة ، ولايجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة[٣] .

تهنئة بالعيد

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب[٤] الوزير فى يوم عيد :

أخرّتنى العلة عن الوزير ـ أعزه الله ، فحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ، ويَغْمُرَ ما أخلَتْه العوائق منى ؛ فأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على الوزير ، ودون الأعياد المستقبلة فيما يُحِبُّ ويُحَبُّ له ، ويقبل ماتوسل به إلى مرضاته ، ويضاعف الإحسان عليه على الإحسان منه ، ويمتعه بصحبة النعمة ولباس

---

(١) زهر ٢٦٦ وما بعدها / ٢ ، ١٣٤ / ١ معجم الأدباء .

(٢) لعله القاسم بن عبيد الله الوزير م ٢٩١ هـ .

(٣) زهر الآداب ٣١ / ٤ .

(٤) وزير المعتمد والمعتضد وتوفى عام ٢٨٨ هـ .

العافية ، ولا يريه فى مسرة نقصا ، ولا يقطع عنه مؤيداً ، ويجعلنى من كل سوء فداه ، ويصرف عيون الغِيَرَ عنه ، وعن حظى منه[١] .

مرض الإخاء

وكتب إلى بعض الكتاب :

قد طالت علّتك أوتعالُلُك ، واشتد شوقنا إليك ، فعافاك الله مما بك ، من مرض فى بدنك أو إخائك ، ولا أعدمناك[٢] .

سؤال

وقال ابن المعتز فى كتابه البديع[٣] :

قلت لبعض فقهائنا وأنا عليل ـ وقد سألنى عائد بحضرته : كيف أنت ؟ ـ : أتراني إن قلت فى عافية كاذبا ؟ فقال لى : لا ، إن أعلك الله من بدنك ، فقد أصحك من ذنوبك .

المحامد والشرف[٤]

وقال : لن تكسب ـ أعزك الله ـ المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ؛ ولو كانت المكارم تُنال بغير مؤونة لاشترك فيها السِّفْل والأحرار ، وتساهمها الوضعاء من ذوى الأخطار ؛ ولكن الله تعالى خص بها الكرماء ، الذين جعلهم أهلها ، فخفّف عليهم حملها ، وسوغهم فضلها ،

---

(١) زهر الآداب ١/٢٢٦ وما بعدها ، وديوان المعانى ١٠٠/٢ مع تغيير قليل فى الرواية . وتنسب هذه القطعة لابن الرومى (١/١٤٥ معراج البيان) . وقد أخذ ابن المعتز بعض معانى هذه التهنئة من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفيا على ما قبله مقصرا عما بعده .

(٢) ٣٨ البديع لابن المعتز طبعة ١٩٤٥ .

(٣) ٨٢ « .

(٤) ص ١٣٢ تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى للسباعى بيومى طبعة ١٩٣٦ ، و١٢١/٤ زهر الآداب نشر الدكتور زكى مبارك ، ١٤٧ مجموعة النظم والنثر ط ١٩١٤ .

وحظرها على السـفلة ، لصغر أقدارهم عنها ، وبعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعرارها منهم .

كلمات

وقال : لمَّا ولى الخلافة :

قد آن للحق أن يتضح ، وللباطل أن يفتضح[1] .

وقال : لنسأل الله عونا وتوفيقا[1] .

الشعوبيون

وقال فى جماعة من الشعوبيين الذين يظهرون حب آل البيت [ويقصد بهذا يحيى ابن على المنجم] :

كلاب قد عدتهم أنعمنا ، وأشادت بذكرهم خدمتنا ، سعوا بالباطل علينا ، وجحدوا إحساننا ، وهجوا نبينا صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كظَّهم العذاب ، وأسكتهم الجواب ، تحسنوا بالترفض ، ومدحوا أهلنا وأخص الناس بنا ، وبالغوا فى هجائنا مفرقين بذلك بيننا ، لتنصرهم علينا طائفة ، وليؤلفوا[2] قلوبا نفرت عنهم ، ولو يعلم الجاهل الكافر أنَّا وبنى عمّنا من آل أبى طالب ، ولو افترقنا فى كل شىء تجتمع الناس عليه ، ما افترقنا فى أن الثالب لرسول الله كافر ، والفاخر عليه فاجر ، وأنَّا نرى جميعاً قتله ، ونستحل دمه ، وليس بمسلم من يخالف فى هذا قولى[3] .

مجلس حظ[4]

قال ابن المعتز : كان لنا مجلس حظ ، أرسلتُ بسببه خادمة إلى قينة ، فأجابت ، فلما مرت فى الطريق وجدت فيه حارسا حراميا ، فرجعت ، فأرسلت أعاتبها ، فكتبت إلىّ تعتذر ، فأجبتها :

---

(١) ورقة ٢٥ من كتاب الأوراق فى أخبار المقتدر للصولى مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ٦٧٣٧ أباظة .

(٢) فى الأصل : وليألفوا .

(٣) ورقة ٢٦ المرجع السابق .

(٤) زهر ٣٠ / ٤ .

كيف أرد عذر من لاتتسلط التهمة عليه ، ولا تهتدى الموجدة إليه ؟ وكيف أعلمه قبول المعاذر ، ولا آمن بعض جواهره إلىّ يسير إلى انتهاز فرصة فيما عاد إلى القرطة ، فإن سلمت من ذلك فمن يجيرنى من توكله على تقديم العذر ، ووقوعه موقع التصديق فى كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلة ، وتنقضى أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرس آثار المودة ؛ وكتبت آخر الرقعة :

إذا غبتَ لم تعرف مكانىَ لذَّة ... ولم يلق نفسى لهوُها وسرورُها
وبُدِّلتُ سمعاً واهياً غير محسن ... يقول وعينا لايرانى ضميرها

كتاب شكر

وكتب ابن المعتز فى الشكر :

«قد جلّت نعمتك عن شكرى ، فتولّى الله مكافأتك ، عن عجزى بعد جهدى ، بما هو أرفع له ، وأقدر عليه ، بمنه ورأفته »

وهذا من قول طريح :

« فقصرت مغلوبا وإنى لشاكر »[1].

وصف حمام

وكتب ابن المعتز يصف حماما طلبه من إنسان :

أريده حرمى الطريق عاجىّ المنقار ، أغنّ الهدير ، ذاذنب قصير ، يسحب حوصلته إذا هدر ، وتروح صفقته إذا صفق ، قرطاسىّ الدفتين ، سبجىّ الجناحين ، كأن رجليه خاضتا دما ، أو شربتا عند ما ، وكأن عينيه جمرة ، ورأسه زبدة[2] .

سر من رأى[3]

وقال ابن المعتز : يمدح سر من رأى ويصف خرابها ويذم بغداد :

كتبت من بلد أنهض الله سكانها ، وأقعد حيطانها ، فشاهد اليأس فيها ينطق ،

(١) ١٠٣ و ١٠٤ ديوان المعانى .
(٢) ١٣٦ / ٢ ديوان المعانى .
(٣) النثر الفنى (١/٨٢) ، معجم البلدان (٢/٢٤٢) .

وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حق جوار ، فحالها تصف للعيون الشكوى ، وتشير إلى ذم الدنيا ، على أنها [جفيت][1] معشوقة السكنى ، رضية المثوى ، كوكبها يقظان ، وجوها عريان ، وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ، وترابها أذفر ، ويومها غداة ، وليلها سحر ، وطعامها هنىء ، وشرابها مرىء ؛ لا كبلدتكم الوسخة السماء ، الومِدَة[2] الماء والهواء ، جوها غبار ، وأرضها خَبار[3] وماؤها طين ، وترابها سِرْجين ، وحيطانها نزوز[4] ، وتشرينها تموز ؛ فكم فى شمسها من مُحْتَرِق ، وفى ظلها من غَرِق ؛ ضيقة الدار ، وسيئة الجوار ، أهلها ذئاب ، وكلامهم سباب ، وسائلهم محروم ، ومالهم مكتوم ، لا يجوز إنفاقه ، ولا يُحَلُّ خناقه ، حشوشهم[5] مسابل ، وطرقهم مزابل ، وحيطانهم أخصاص ، وبيوتهم أقفاص ، ولكل مكروه أجل ، وللبقاع دول ، والدهر يسير بالمقيم ، ويمزج البؤس بالنعيم .

فكاهة وجد[6]

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز :

استعرتُ من على بن يحيى المنجم[7] جزءا فيه أخبار مَعْبَد ، بخط حماد بن إسحاق الموصلى ، وكان وعدنى به ، فبعث إلى بست ورقات لطاف ، فرددتها وكتبت إليه : إن كنت أردت بقولك جزء الجزء الذى لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءا فيه فائدة للقارئ ، ومتعة للسامع ، فقد أحلْتَ[8] ، وقد رددته عليك بعد أن طار اللحظ عليه طيرة .

---

(١) هكذا بالأصل .
(٢) الومد بالفتح : الحر الشديد مع سكون الريح .
(٣) الأرض الصلبة .
(٤) النز بفتح النون وكسرها : ما يتحلب من الأرض من الماء ،
(٥) الحش بفتح الحاء وضمها : البستان ، والمخرج أيضا .
(٦) زهر ١٨٩ / ١ وما بعدها .
(٧) صديق لابن المعتز وكاتب شاعر بليغ توفى عام ٢٧٥ هـ .
(٨) أحال : تكلم بالمحال .

وصف جيش[١]

وقال : فلان فى جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقمصة الحديد ، وكأن رماحهم قرون الوعول[٢] ، وكأن أدراعهم زَبَدُ السيول ، على خيل تأكل الأرض بحوافرها ، وتمد بالنقع[٣] سُرَادقها ، قد نُشرت فى وجوهها غُرَرٌ كأنها صحائف الرَّق[٤] ، وأمسكها تحجيل كأنه أسورة اللُّجَيْن[٥] ، وقُرِّطَتْ عُذَرا[٦] كأنها الشَّنف ، تتلقف الأعداء أوائله[٧] ولم تنهض أواخره ، قد صُبَّ عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ريح النصر[٨] .

---

(١) وتنسب لابن الرومى [راجع ص ١٤٨ مجموعة النظم والنثر ط ١٩١٤] .
(٢) جمع وعل وهو التيس الجبلى .
(٣) الغبار .
(٤) جلد رقيق يكتب فيه .
(٥) الفضة .
(٦) جمع عذار ، والشنف بالفتح القرط .
(٧) فى مجموعة النظم والنثر : أوائلها وأواخرها .
(٨) زهر ٢٢٦/١ .

القسم الثالث

حكم وآداب

الله وعظمته

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله :

إن الله جلَّ ثناؤه لا يُمَثَّلُ بنظير ، ولا يُغْلَبُ بظهير ، جل عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولَطُفَ عن ألحاظ خَطَراتِ الفِكَر ، لا يُحْمَدُ إلا بتوفيق منه يقتضى حمداً ، فمتى تُحْصَى نعماؤه ، وتُكافأ آلاؤه[1] ؟

وقال : عجز أقصى الشكر عن أداء نعمته ، وتضاءل ماخلَقَ فى سعة قدرته ، قَدَرَ فقَدَّر ، وحكم فأحكم ، وجعل الدين جامعاً لشمل عباده ، والشرائع مناراً على سبيل طاعته ، يتبعها أهل اليقين به ، ويحيد عنها أهل الشك فيه[2] .

البيان

ولابن المعتز[3] : البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ومُجَلِّى الشبهة ، وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرسل الذى انقاد به المصعب[4] ، واستقام الأصْيَدُ[5] وبُهِتَ الكافر ، وسلَّم الممتنع ، حتى أَشِبَ[6] الحق بأنصاره ، وخلا ربعُ الباطل من عُمَّاره . وخير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ، ليسرع الفهم إلى تلقيه ؛ وموجزا ليخف على اللفظ تعاطيه[7] .

---

(١) زهر الآداب نشر الدكتور زكى مبارك — الطبعة الثانية ص ١٣٧ / ١ .

(٢) ولابن المقفع : الدين أفضل المواهب التى وصلت من الله إلى خلقه ، وأعظمها منفعة ، وأحمدها فى كل حكمة ، فقد بلغ من فضل الدين والحكمة أن مدحا على ألسنة الجهال على جهالتهم بهما [ص ٣٥ الأدب الصغير ط ١٩١١] .

(٣) راجع تعريف البيان فى العقد الفريد [٢٢٠ / ١ ط ١٩٢٨] وفى البيان والتبيين للجاحظ [٦٨ / ١ ط ١٩٢٧] .

(٤) المصعب : الفحل الصعب القياد ، [وفى الأصل المستصعب] .

(٥) الأصيد هو المائل العنق كبراً .

(٦) أشب : تجمع وقوى .

(٧) ١٣٩ / ١ زهر الآداب ، ١٤٧ مجموعة النظم والنثر الطبعة الثالثة ١٩١٤ بالمطبعة الأميرية ، و ٦ ج ١ معراج البيان .

القرآن وبلاغته

وقال : وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفى ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتكلفين ، وتحيُّرُ الكذابين ، وهو المبلَّغ الذى لا يُمَلُّ ، والجديدُ الذى لا يخلُق ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحى لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافى للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة ، إن أوجز كان كافيا ، وإن أكثر كان مذكراً ، وإن أومأ كان مُقنِعاً ، وإن أطال كان مُفهِماً ، وإن أمر فناصحاً ، وإن حكم فعادلا ، وإن أخبر فصادقا ، وإن بيَّن فشافيا ؛ سهل على الفهم ، صعب على المتعاطى ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج تستضىء به القلوب ، حلو إذا تذوقته العقول ؛ بحر العلوم ، وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ؛ نزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فخصَمَ الباطل ، وصدَعَ بالحق ؛ وتألَّف من النفرة ، وأنقذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع به خدَّ الكفر[1] .

بين الحكمة والبلاغة

وقال أبو العباس ابن المعتز :

لحظة القلب أسرع خطرةً من لحظة العين ، وأبعد مجالا ؛ وهى الغائصة فى أعماق أودية الفكر ، والمتأملة لوجوه العواقب ، والجامعة بين ماغاب وحضر ، والميزان الشاهد على مانفع وضر ؛ والقلب كالمُملى للكلام على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبتْ ؛ والعاقل يكسو المعانى وشْىَ الكلام فى قلبه ، ثم يُبْدِيها بألفاظ كواسٍ فى أحسن زينة ، والجاهل يستعجل بإظهار المعانى قبل العناية بتزيين المعارض ، واستكمال محاسنها[2] .

---

(١) ١٣٩ و ١٤٠ / ١ زهر الآداب ، ١٤٨ مجموعة النظم والنثر .

(٢) زهر ١٤٩ / ١ .

وقال : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطُلْ سفر الكلام[١] .

الفصول القصار لابن المعتز

قال ابن المعتز[٢] :

البشر دال على السخاء ، كما يدل النَّور على الثمر .

كما أن الشمس لا يخفى ضوءها و إن كانت تحت السحاب ، كذلك الصبى لا تخفى غريزة عقله و إن كان مغمورا بأخلاق الحداثة .

كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ، ولذلك لا يعجل الإجابة فى كل دعوة

كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره — إذا استرجع اللهُ مواهبَ الدنيا كانت مواهب الآخرة .

لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب :

الحوادث الممِضَّة مكسبة لحظوظ جزيلة ، من صواب مدَّخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومُرُونٍ على مقارعة الدهر[٣] .

ومن الفصول القصار[٤]

الحكمة شجرة تنبت فى القلب ، وتثمر من اللسان :

لا يقوم الغضب بذل الاعتذار :

الشفيع جناح الطالب ، والبشر رائد الراغب :

---

(١) زهر ١٥٧ / ١ ، وابن خلكان ٤٦٢ / ١ ، والعمدة ٢١٧ / ١ ، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٢٣ / ٢ طبعة القدسى) ؛ وفى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٩٦ : البلاغة أن تقرب ما تريد ولم تطل سفر الكلام ، وهى فى السبكى أحد شروح التلخيص برواية مقاربة لما ذكر أولا (ص ١٢٨ / ١) .

(٢) زهر ٢٦٦ — ٢

(٣) مثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين فأغار عليه ابن المعتز (راجع ٢٦٦ / ٢ زهر) .

(٤) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٥ وما بعدها وقد صححنا هنا كثيراً من الأخطاء الموجودة فيما أثبته ناشر الأوراق .

المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح .

الغضب يبدأ بالغضبان ؛ يعظم ذنبه ، وتقبح صورته ، ويُعمل بذمه .

أول الدنيا إلى انقضائها ، كصور فى صحيفة ؛ كلها : نشر بعضها ، وطوى بعضها .

اصبر على مصاحبة الكريم وإن اختلت حاله ، فليس ينتفع بالجوهرة من لم ينتظر بقاءها .

الشرير لا يظن بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبعه .

لئن استبطأنا إجابة دعائنا ، لقد سددنا طرقه بذنوبنا .

كلما كثر حفاظ الأسرار ، ازدادت ضياعا .

أعدل الناس من أنصف عقله من هواه ، ومن لم يملك ذلك فليس لعقله عليه سلطان .

بئس مال البخيل لحادث أو وارث :

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، يبخل بما لا يملكه ، طالب لما لا يجده .

شكرك نعمة سالفة ، يقتضى لك نعمة مستأنفة .

كلما حسنت نعمة الجاهل ، ازداد قبحا فيها .

الوعد راحة الجود ، والمطل مرضه ، والإنجاز بره .

الساعى كاذب لمن سعى إليه ، وخائن لمن يسعى به .

كفى بالظلم داعيا لنقمة ، وطاردا لنعمة .

البلاغة أن تقرب ما تريد ، ولم تطل سفر الكلام .

خير المعروف ما لم يتقدمه مطل ، ولم يتبعه منّ .

إذا حضرت الآجال ، افتضحت الآمال .

الصبر على المصيبة يفل حد الشامت بها ، ويطيل عبوس المتضاحك لها .

المعروف رق ، والمكافأة عتق .

انتظر عند الظلم عدل الله فيك ، وعند المقدرة قدرة الله عليك ، ولا يحملك اللجاج

على اقتراف إثم ، فتشفى غيظك وتُسقم دينك .

أعرف الناس بالله أرضاهم بأقداره .

الدنيا تهين من أكرمت ، والأرض تأكل من أطعمت .

من كان فى يدك ، فهو بك أملك منك بنفسك .

غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله .

لا تعينَنَّ من وليته على جبايته ، بقلة جرايته ، فليس يكفيك من لم تكفه .

بعض التقدير للقدر دفع .

كل علو خطر ، وربما أدى إلى الهلاك الحذر .

وقال[1] :

المعروف رق ، والمكافأة عتق[2] :

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملك ، طالب لما لا يجد .

وقال[3] : ربما شرق شارب الماء قبل ريه .

وقال : يكفيك للحاسد غمُّه بسرورك[4] .

---

(١) ص ٣٢٢ ريحانة الألبا للشهاب الخفاجى ط ١٢٩٤ هـ .

(٢) وفى أدب الدنيا والدين للماوردى م ٤٥٠ هـ (ص ١٨٤ ط ١٩٢٨ بالقاهرة) . قيل فى منثور الحكم المعروف رق الخ .

(٣) ص ٢١٢ المرجع نفسه ، ومعاهد التنصيص ١٤٩ / ١ .

(٤) وفى أدب الدنيا والدين (ص ٢٤٢) : وقال بعض الحكماء : يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك .

السلطان وصحبته

وقال[١] : ربما أورد الطمع ولم يصدر ، ووعد ولم يوف ؛ ومن تجاوز الكفاف لم يغنه إكثاره ، ومن ارتحله[٢] الحرص أنضاه الطلب ؛ والأمانى تعمى الأبصار والبصائر ، والحظ يأتى من لا يأتيه ، وربما طاب وعاء حشوه المتالف ، وأشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقا[٣] ، ولا يدرك الغنى بالسلطان إلا جسم تَعِب ، ونفس خائفة ، ودين ينثلم ، ولئن كان البحر كثير الماء إنه لبعيد المهوى ، ومن شارك السلطان فى عز الدنيا قاربه فى ذل الآخرة ، وما أحلى تلقى النعمة ، وأمرّ عاقبة الفراق ؛ لا سيما فى هذا الزمان ، المتلوّن الأخلاق ، المتداعى البنيان الموقظ للشر ، المنيم للخير ، المطلق أعنّة الظلم ، والحابس لروح العدل ، القريب الأخذ من الإعطاء ، والكآبة من البهجة والقطوب من البشر ، والذل من العز ، والفقر من الوجود ، المرّ الثمرة ، البعيد المجتنى ، القابض على النفوس بكربه ، المنحى على الأجسام بغَرْبه ، لا ينطق إلا بالشكوى ، ولا يسكت إلا على بلوى ، ومن لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم يقع سيفُ حَينه إلا على مقاتله ، والتثبت طريق الرأى إلى الإصابة ، والاعتذار طريق المذنب إلى الإنابة ، والعجلة تضمن العبرة ، وتجلب الحسرة ، وما أحب أن أصرف عنك خطأ تؤثره ، ولكنى قدمت مالا أستجيز تأخيره ، من النصيحة لك والمشورة عليك .

---

(١) راجع الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء (ص ٢٨٧ وما بعدها ط ١٩٣٦) ، وهذا من الفصول القصار [راجع زهر الآداب ٣/٩٤] ، وهنا أخطاء كثيرة جداً قد صححناها فيما أثبتناه من هذا النص ، وبعض هذه الحكم تجدها أيضا فى دائرة المعارف للبستانى ١/٦٩٥ ، وفى معاهد التنصيص ١٤٩ ج ١ مع بعض اختلاف فى الرواية .

(٢) رواية معاهد التنصيص : ارتحل .

(٣) من قول ابن المقفع : أخوف ما يكون الانسان لحريق النار أقرب ما يكون منها (٤٩ رسائل البلغاء ، ٦٤ الأدب الصغير ، ورواية معاهد التنصيص (١٤٩ ح ١) . إلى الاحتراق .

جملة أخرى[1] فى ذكر السلطان

فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا .

من صحب السلطان صبر على قسوته ، كصبر الغوّاص على ملوحة بحره .

الملك بالدين يبقى ، والدين بالملك يقوى .

من نصح الخدمة ؛ نصحته المجازاة .

لا تلتبس بالسلطان فى وقت اضطراب الأمور عليه ؛ فإن البحر لا يكاد يسلم صاحبه فى حال سكونه ؛ فكيف عند اختلاف رياحه ؛ واضطراب أمواجه[2] .

جملة أخرى من الفصول القصار[3]

الدهر سريع الوثبة ؛ شنيع العثرة .

أهل الدنيا كركب يُسارُ بهم وهم نيام .

الناس وفد البلى ؛ وسكان الثرى ؛ وأقران الردى .

المرء نصب الحوادث ؟ وأسير الاغترار .

الآمال مصائد الرجال .

الحرص ينقص المرء من قدره ؛ ولا يزيد فى رزقه .

الكذب والحسد والنفاق أثافىّ الذل .

النمام جسر الشر .

الحاسد اسمه صديق ومعناه عدو .

---

(١) راجع زهر الآداب ٩٤ / ٣ .

(٢) ولابن المقفع حكم كثيرة فى السلطان ومعاشرته وآداب حاشيته تجدها فى الأدب الصغير وفى الدرة اليتيمة وفى رسالة الصحابة له أيضاً مما تراه فى رسائل البلغاء ، ولا شك أن ذلك كان بعض مصادر الحكمة عند ابن المعتز .

(٣) زهر ١٩٧ / ٣ وما بعدها .

الحاسد ساخط على القدر ، مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، يشفيك أنه يغتمّ فى وقت سرورك .

الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود .

الصبر من ذى المصيبة مصيبة على ذوى الشبهات .

التواضع سُلَّمُ الشرف ؛ والجود صِوان العرض من الذم .

الغدر قاطع .

كنوز السر إذا كثر خزانها ازدادت ضياعا .

السوء كمشجرة النار يحرق بعضها بعضاً .

عبد الشهوات أذل من عبد الرق .

وعاء الخطأ بالصمت يختم ، والخرق بالرفق يلحم .

الوعد مرض المعروف ، والإنجاز برؤه ، والمطل تلفه .

إذا حضر الأجل ، خرق الأمل .

لا تَشِنْ وجه العفو بالتقريع .

لا تنكح خاطب سرك ، ومن زاد أدبه على عقله كان كالراعى الضعيف مع المواشى الكثيرة .

الهم حبس الروح (١) .

من كرمت عليه نفسه ، هان عليه ماله .

من جرى فى عنان أمله ، عثر بأجله .

ما كل من وعد وعدا يحسن إنجازه .

ربما أورد الطمع ولم يصدر ، وضمن (٢) ولم يوف .

ربما شرق شارب الماء قبل ريه (٣) .

---

(١) ولابن المقفع : الهم مرض العقل (١١٨ رسائل البلغاء) .
(٢) فى الأوراق (٢٨٧) : ووعد .
(٣) وهذه الحكمة فى الريحانة ص ٣٢٢ .

من تجاوز الكفاف لم يقنعه[١] إكثار .

كلما عظم قدر المنافس فيه ، عظمت الفجيعة بفقده ، ومن أرحله الحرص أنضاه الطلب . الأمانى تعمى أعين البصائر ، وربما كان الطمع وعاء حشوه المتالف وسائقا يدعو إلى الندامة .

ما أحلى تلقى البُغْيَة[٢] ، وأمرّ عاقبة الفراق .

من لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم تقع حيلته إلا على مقاتله .

وقال فى الفصول القصار أيضا :

طلاق الدنيا مهر الجنة[٣] .

وقال : عقوبة الحاسد من نفسه . لا يرضى عنك الحاسد حتى تموت[٤] .

وقال : أنفاس الحى خُطاه إلى أجله[٥] .

المعروف غلّ لا يفكه إلا شكر أو مكافأة[٦] .

من عجائب الدنيا أن تطرح التراب على وجه من تكرمه . أهل الدنيا كركب يساق بهم وهم نيام . من أحب البقاء فليعد للنوائب قلبا صبورا . أفقرك الولد وعاداك . من لم يتعرض للنوائب تعرضت إليه . إذا كثر الناعى إليك قام الناعى لك[٧] .

---

(١) فى معاهد التنصيص (ص ١٤٩ / ١) : يغنه .

(٢) فى الأوراق (ص ٢٨٧) : النعمة .

(٣) البديع ص ٩٠ ط ١٩٤٥ ، والصناعتين ٣٠١ .

(٤) تاريخ آداب اللغة للحسينى الظواهرى ص ١٠٦ ، وذكرها الماوردى فى أدب الدنيا والدين (ص ٢٤٢ ط ١٩٢٨) على أنها من منثور الحكم .

(٥) أبو الفداء أخبار عام ٢٩٦ .

(٦) ديوان المعانى ٩٥ / ٢ .

(٧) ١٠٦ تاريخ أدب اللغة للحسينى الظواهرى .

أدب وحكمة

وقال ابن المعتز[١] :

لاتسرع إلى أرفع موضع فى المجلس ، فالموضع الذى ترفع إليه ، خير من الموضع الذى تحط منه .

لاتذكر الميت بسوء ، فتكون الأرض أكتم عليه منك .

ينبغى للعاقل أن يدارى زمانه ، مداراة السابح للماء الجارى .

وقال[٢] : نعم الجاهل ، كالرياض فى المزابل .

كلما حسنت نعمة الجاهل ، ازداد فيها قبحا .

لسان الجاهل مفتاح حتفه .

لاترى الجاهل إلا مفرِطاً أو مفرِّطاً .

وقال[٣] : أهل الدنيا كصور فى صحيفة إذا طوى بعضها نشر بعضها[٤] .

بشِّرْ مال البخيل بحادث أو وارث .

البشر دال على السخاء كما أن النَّوْر دال على الثمر .

ما أدرى أيهما أمرّ : موت الغنى ، أم حياة الفقير ؟

إذا صحت النية وتأكدت الثقة سقطت مؤنة التحفظ .

الزهد فى الدنيا الراحة العظمى .

---

(١) ١٣٢ / ٤ زهر .

(٢) ١٥٦ / ٤ زهر .

(٣) ص ٦ خاص الخاص للثعالبي طبعة ١٣٢٦ هـ .

(٤) قال الثعالبي : كنت أظن أن ابن المعتز أبو عذرة هذا حتى قرأت للراعى :

ما الدهر والناس إلا مثل واردة ... إذا مضى عنق منها أتى عنق

(ص ٨٤ من المرجع السابق) ، والعنق : الطائفة من الناس .

الحكمة الخالدة

وقال ابن المعتز :

الأزمان المحمودة والمذمومة لها آجال كآجال العباد ؛ فاصبر لزمان السوء ، حتى يفنى عمره ، ويأتى أجله ، كفانا الله وإياكم شقوة القدر ، وأعاننا بطاعته على الحذر من شر الزمن[1] .

وقال : لاتتعرض لعدوك فى دولته ، فإنها إذا زالت كفتك مؤنته[1] .

وقال : الغضب يصدئ القلب ، حتى لايرى صاحبه شيئاً حسناً فيفعله ، ولاقبيحاً فيتجنبه[2] .

وقال : تجاوزعن مذنب لم يسلك من الإقرار طريقاً حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا[3] .

العقل

وقال[4] : العقل غريزة تربيها التجارب .

العاقل من عقل لسانه[5] ، والجاهل من جهل قدره .

كلمات فى الحكم

وقال[6] : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى الكمال استعانوا بالكبر ، ليعظم

---

(١) ٢٠٧ الخلاة للعاملى .
(٢) ٢٠٩ « « .
(٣) ٢٤٥ الكشكول « .
(٤) زهر ١٢٩ / ٤ .
(٥) هذا قريب من قول الحسن :
لسان العاقل من وراء قلبه ، ولسان الأحمق أمام قلبه
الكامل للمبرد (٢٦٣ / ١ ط ١٣٥٥ هـ) .
(٦) زهر ١٥٦ / ٤ وما بعدها .

صغيراً ، ويرفع حقيرا ، وليس ينفع الطمع فى وثاق الذل .

الغضب يصدئ العقل ، حتى لايرى صاحبه صورة حسن فيرتكبه ، ولا صورة قبيح فيجتنبه .

الغضب ينبئ عن كامن الحقد .

من أطاع غضبَه ، أضاع أدبَه .

حدة الغضب تعثّر المنْطق ، وتقطع مادة الحجة ، وتفرّق الفهم .

عقوبة الغضب تبدأ بالغضبان ، تُقبّح صورته ، وتثلم دينه ، وتعجل ندمه .

ما أقبح الاستطالة عند الغنى ، والخضوع عند الفقر .

من يهتك ستر غيره ، تُكْشَفُ عورة بنيه .

نفاق المرء من زلة الشرير ، لايظن بالناس خيراً ، لأنه يراهم بعين طبعه .

من عدّد نعمَه ، محَقَ كرمَه .

خلف الوعد ، خلق الوغد .

من أسرع كثر عثاره .

مصير الحياة[1]

وقال ابن المعتز :

وعد الدنيا إلى خُلف ، و بقاؤها إلى تلف ، و بعد عطائها المنع ، و بعد أمانها الفجعُ ، طوّاحة طرّاحة ، آسيةٌ جرّاحة ، كم راقد فى ظلها قد أيقظته ، وواثق بها قد خانته ، حتى يلفظ نفسه ، و يودّع دنياه ، ويسكن رمسه ، و ينقطع عن أمله ، و يشرف على عمله ، وقد رجح الموت بحياته ، ونقض قوى حركاته ، وطمس البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ،

(١) ولابن المقفع فى وصف الدنيا : الدنيا زخرف يغلب الجوارح ، مالم تغلبه الألباب ، والحكيم من يغضى عنه ولم يشغل به قلبه [ص ٣٣ الأدب الصغير الطبعة الأولى سنة ١٩١١] ؛ وراجع : صفة الدنيا لعلى بن أبى طالب فى العقد الفريد [١١٣ / ٢ طبعة ١٩٢٨] ، ورسالة الجاحظ إلى بعض إخوانه فى ذم الزمان [ص ٣١٦ / ١ العقد الفريد] .

وصار كخط من رماد، تحت صفائح أنْضاد[١]، وقد أسلمه الأحباب، وافترش التراب، في بيت قد نجرته المعاول، وفُرشت فيه الجنادل، مازال مضطربا في أمله، حتى استقر في أجله، ومحت الأيام ذكره، واعتادت الألحاظ فقره[٢].

الغضب

وقال ابن المعتز:

غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله[٣].

خيانة

وقال ابن المعتز:

من قرأ سطراً من كتاب قد خُطَّ عليه فقد خان كاتبه، لأن الخط يُحرز ماتحته[٤].

الشيب

وقال[٥]: الشيب أول مواعد الفناء.

حكمة

وقال[٥]: عظم الكبير فإنه عرف الله قبلك، وارحم الصغير فإنه أغر بالدنيا منك.

الشورى[٦]

وقال: من رضى بحاله استراح، والمستشير على طرف النجاح[٧].

---

(١) الصفائح: الحجارة العريضة، والأنضاد المنحوتة باستواء.
(٢) زهر ١/٢١٧، الكشكول ٩٤، مجلة الأزهر عام ١٣٦٣ هـ ص ٣٠٢.
(٣) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٦، البديع ص ٩٠ ط ١٩٤٥، الصناعتين ٣٠١ طبعة صبيح، زهر ٤/١٥٦.
(٤) زهر ١/١٨٣.
(٥) زهر ٤/٤٩.
(٦) ولابن المقفع: لا رأى لمن انفرد برأيه، المستشار مؤتمن.
(٧) زهر ٣/٢٥٢.

وقال : من أكثر المشورة فى الإصابة ، لم يعدم الصواب ، وكان فى الإصابة مادحا وفى الخطأ عاذراً[١] .

الولاية والعزل

وقال : ذل العزل يضحك من تيه الولاية ، وقال :

كم تائه بولاية وبعزله ركض البريد
سكر الولاية طيب وخمارها صعب شديد

وقال : العزل طلاق الرجال ، وحيض العمال[٢] .

الصديق[٣]

وقال : علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولايبتدىء بالكتاب، ولا يفسد بك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له .

إذا كثرت ذنوب الصديق انمحق السرور به ، وتسلطت التهم عليه .

نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .

ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .

ماحبس الود بمثل العتاب .

من صدقت لهجته ، ظهرت محبته .

الموت والعمر

وقال : الموت سهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر سيره إليك .

---

(١) زهر ٣/٢٥٣

(٢) زهر ٣/٢٥٥

(٣) زهر ٣/٢٦٢ وما بعدها .

أخذه بعض الشعراء فقال :

الموت سهم مرسل والعمر قدر مسافته[١]

المزاح

وقال : من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه[٢] .

الكذب

وقال : علامة الكذاب جوده فى اليمين لغير مستحلف . وقال :

وفى اليمين على ما أنت فاعله ما دل أنك فى الميعاد متهم[٣]

وقال : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطررت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه[٤] .

وقال : يعترى حديث الكذاب من الاختلاف ، مالا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب[٥] .

وقال : لاتصح للكذاب رؤيا لأنه يخبر عن نفسه فى اليقظة بما لم ير ، فتريه فى النوم مالا يكون ، وأنشد :

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو عادة السوء أو من قلة الأدب[٥]

---

(١) زهر ١٦ / ٤ ، ١٠٦ تاريخ آداب اللغة للحسينى الظواهرى .

(٢) زهر ١٨٨ / ٢ ؛ ويقول عمر للاحنف : من كثر مزاحه كثر سقطه الخ (راجع ٢/١٤٣ البيان والتبيين للجاحظ نشر السندوبى ط ١٩٢٧) .

(٣) زهر الآداب ٢/١٤٢ ولابن المقفع فى الكذب : رأس الذنوب الكذب هو يؤسسها وهو يتفقدها ويثبتها ، ويتلون ثلاثة ألوان . بالأمنية والجحود والجدل [٤٧ الأدب الصغير] .

(٤) زهر ١٤٢ و ٢٦٦ / ٢ .

(٥) زهر ١٤٢ / ٢ .

الكتاب والقلم[1]

الكتاب والج الأبواب ، جرىء على الجواب ، مفهم لايفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائرا ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضىء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان .

الصداقة

وقال : لايزال الإخوان يسافرون فى المودة ، حتى يبلغوا الشُّقة ، فإذا بلغوها ألقوا عصا التيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود النصائح ، وأمنت خبايا الضمائر ، فحلوا عُقَد التحفُّظ ، ونزعوا ملابس التخلق[2] .

كلمات

وقال : قلبى نجى ذكرك ، ولسانى خادم شكرك[3] .

وقال : القول بعد الفكر يؤمن زيغه شتان بين رُوية وبديه[4]

ولابن المعتز[5] :

قد رخصت الضرورة فى الإلحاح ، وأرجوأن تحسن الظن كما أحسنت الانتظار .

فلان لوأمهلته حاله لأمهلك ، لكن أعجلته فأعجلك ، فأعنه بشىء يكون مادة لصبره عليك ، وأقم رغبته إليك مقام الحرمة بك .

---

(١) زهر ١٤٤ / ٢ ، والأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٩٢ ، والعقد (٣/٢٦ ط ١٩٢٨) .

(٢) الكشكول ص ٢٤٥ ، زهر الآداب ص ٢٢٥ / ١ وما بعدها .

(٣) خاص الخاص للثعالبي ص ٦ ، وديوان المعانى ١٠٤ / ٢ ، والبديع ص ٣٨ .

(٤) العمدة ١٦٨ / ١ .

(٥) خاص الخاص للثعالبي طبعة ١٣٢٦ هـ ص ٦ . والكلمة الأولى فى البديع .

حالى مرقعة ، فإن تحركتُ بها تمزقت .

ربما أدت الشكوى إلى الفرج ، وكان الصمت من أوكد أسباب العطية .

إذا صحت المودة كان باطنها أحسن من ظاهرها .

توقيعات لابن المعتز[1] :

كتب إليه قهرمانه ينسب وكيله إلى الخيانة والسرقة ويستأمره فى الاستدلال به ، فوقع فى رقعته : أغنِ من وليّتَه عن السرقة فليس يكفيك من لم تكفه .

وكتب إليه بعض مواليه يذكر جِدَّه فى خدمته وتوقعه زيادة نظر له فوقع : من نصح الخدمة نصحته المجازاة .

(١) ص ٧١ خاص الخاص .

القسم الرابع

أرجوزة ابن المعتز فى تاريخ المعتضد

(٢٧٩ – ٢٨٩ هـ)

وشرحها

ويليها أرجوزته فى ذم الصبوح

أرجوزة ابن المعتز

فى تاريخ الخليفة المعتضد

[٢٧٩ — ٢٨٠ هـ]

كلمة موجزة :

١ — أبو العباس المعتضد أحمد بن الموفق بن المتوكل ، ولد عام ٢٤٣ هـ ، ونشأ فى ظلال والده الموفق ، وكان عونا له فى حروبه وأعماله ، واشترك فى القضاء على ثورة الزنج بالبصرة عام ٢٧٠هـ ، ثم غضب عليه والده فحبسه عام ٢٧٥هـ ، وكان والده الموفق هو المهيمن على جميع شئون الخلافة فى عهد أخيـــه الخليفة المعتمد بن المتوكل (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) ، فلما حان أجل الموفق خرج ابنه أبو العباس من السجن عام ٢٧٨ هـ ، وتوفى والده فحل محله فى تصريف أمور الدولة لعمه المعتمد ؛ و بعد قليل توفى المعتمد عام ٢٧٩ هـ فتولى أبو العباس المعتضد مقاليد الخلافة بعده .

٢ — كان المعتضد حازما قويا شجاعا ، استردت الخلافة العباسية فى عهده سالف مجدها ، وماضى عزها ، وغطى نفوذه على نفوذ الأتراك الذين كان بيدهم شئون الخلافة آنذاك ، فحسنت الأحوال ، وانتظم الأمن ، وعم الناس الاطمئنان والرخاء والسلام . وقام المعتضد بحروب كثيرة انتصر فيها على الثائرين والخارجين على الدولة ؛ كما قام بإصلاحات عامة كثيرة كان لها أثرها الاجتماعى فى حياة الناس فى عصره .

٣ — وكان ابن المعتز وثيق الصلة بالمعتضد وأشاد به فى قصائده ومنظوماته ، ثم أمره المعتضد بتأليف كتاب فى سيرته ، فكتب ابن المعتز هذه الأرجوزة ووجه بها إليه ، وختمها بأبيات مرتبة بعد وفاته وحفّظها المعتضد جارية له فكانت تنشده إياها كثيرا ، واقتصر بها عن الكتاب الذى أمر بتأليفه[١] .

---

(١) راجع ديوان ابن المعتز المخطوط بدار الكتب الملكية .

٤ — والأرجوزة طويلة تبلغ نحو العشرين والأربعمائة بيت ، وهى « صورة مصغرة لنمط الملاحم كالإلياذة والشاهنامة وسدت بعض النقص الذى يوجد فى الشعر العربى[١] » وهى فى ديوان ابن المعتز ، وطبعت وحدها عام ١٩١٣ ؛ وقد نشرها وشرحها وترجمها إلى الألمانية لانغ الألمانى[٢] .

وقد بقيت القصيدة مهملة بحوادثها التاريخية المجهولة حتى قمت اليوم بشرحها ونشرها فى هذا الكتاب وهو عمل له قيمة كبيرة فى خدمة تراث ابن المعتز الأدبى .

٥ — ويشرح ابن المعتز فى هذه القصيدة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفسادها قبل المعتضد ، واشتراكه مع والده فى توطيد دعائم الخلافة العباسية والقضاء على الثائرين ، ثم يذكر تولية العرش وإنقاذه الخلافة من الضعف الذى كاد يقضى عليها وأعماله الكبيرة وحروبه الكثيرة التى قام بها ؛ والأرجوزة إشادة منقطعة النظير بالمعتضد ، وها هى ذى نقدمها إلى القراء فى ثوبها الجديد الأنيق :

---

(١) ٢٥ و ٢٦ / ١ ظهر الإسلام ط ١٩٤٥ .

(٢) راجع ١٦٣ / ٢ تاريخ آداب اللغة لجورجى زيدان ، ودائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول ص ٢٨٠ .

تمهيد :

باسم الإلهِ الملكِ الرحمن ... ذى العزِّ والقُدْرةِ والسلطانِ

الحمدُ للهِ على آلائهِ ... أحمدُهُ والحمدُ من نعمائهِ

أبدعَ خلقاً لم يكنْ فكانا ... وأظهرَ الحجّةَ والبيانا

وجعلَ الخاتمَ للنبوّةْ ... أحمدَ ذا الشفاعةِ المرجوّةْ

الصادقَ المهذّبَ المطهرا ... صلّى عليه ربُّنا فأكثرا

مضى وأبقى لبنى العبّاسِ ... ميراثَ مُلكٍ ثابت الأساسِ

برغمِ كلِّ حاسدٍ يبغيه ... يهدمُه كأنّهُ يبنيهِ

أبو العباس المعتضد :

هذا كتاب سيَرَ الإمام ... مهذباً من جوهر الكلام

أعنى (أباالعبّاسِ) خيرَالخلقِ ... للمُلكِ قولَ عالمٍ بالحقّ

حالة الخلافة قبل المعتضد :

قامَ بأمرِ الملكِ لمّا ضاعا ... وكانَ نهباً فى الورى مُشاعا

مذلّلاً ليستْ له مهابَهْ ... يخافُ إنْ طنّتْ به ذُبابَهْ

الفوضى الاجتماعية :

وكلَّ يومٍ ملكٌ مقتولُ ... أو خائفٌ مُروّعٌ ذليلُ

أو خالعٌ للعقْدِ كيما يَغنَى ... وذاكَ أدْعى للردى وأدنى

وكم أمير كان رأس جيش ... قد نغّصوا عليه كلَّ عيش

وكل يوم شَغَبٌ وغصبُ ... وأنفسٌ مقتولةٌ وحربُ

وكم فتى قد راح نَهْبا راكبا ... إمّا جليسَ مَلِكٍ أو كاتبا

فوضعوا فى رأسه السِّيَاطَا　　وجعلوا يُرْدُونَهُ شطاطا[1]

وكم فتاة خرجتْ من منزل　　ففضحوها نفسها فى المحفِل

وفضحوها عند من يعرفها　　وصَدَّقوا العشيق كى يقرفها[2]

وحَصَلَ الزَّوْجُ لضَعْفِ حياته　　على نواجِهِ ونَتْفِ لِحيَتِه

وكل يوم عسكراً فعسكرا　　بالكرخ[3] والدور[3] مواتاً أحمرا

ويطلبون كلَّ يوم رزقا　　يرونه دَيْناً لهم وحقّا

كذاك حتّى أفقروا الخلافه　　وعوَّدوها الرعب والمخافه

فتلك أطلالٌ لهمْ قِفَارا　　ترى الشياطينَ بها نهارا

بالتلِّ والجَوسَقِ والقطائعِ[4]　　كم ثَمَّ من دار لهم بلاقعِ

كانت تُزارُ زمناً وتُعمَرُ　　ويُتَّقى أميرُها المؤمَّرُ

وتصهلُ الخيلُ على أبوابها　　ويكثرُ الناسُ على حُجَّابها

وكم هناك والجاً كريما　　وراجعاً مدفعاً مظلوما

وواقفاً ينظرُ من بعيد　　مخافة العقاب والتهديد

حتى إذا ما ارتفعَ النهارُ　　ضجَّت بها الأصواتُ والأوتارُ

ودارت السُّقاةُ بالمدامِ　　وارتُكِبَتْ عظائمُ الآثامِ

ثم انقضى ذاك كأن لم يفعلِ　　والدهرُ بالإنسانِ ذو تنقُّلِ

فما بكت عليهم السماء　　لما أتيح لهم القضاء

---

(١) السياط : جمع سوط . الإرداء : الإهلاك . شطاطا : طولا .

(٢) يقرفها : يتهمها .

(٣) ضاحية من ضواحى بغداد .

(٤) أماكن بسر من رأى .

الفوضى السياسية والثورات قبل المعتضد :

وكان قد مزّق ثوبَ الملكِ طوائفٌ إيمانُهم كالشرك
فمنهم فرعونُ مصرَ الثانى [(١)] عاصِى الإلهِ طائعُ الشيطان
والعــلوىُّ [(٢)] قائد الفُسّاق وبائع الأحرار فى الأسواق
والدُّلَفِىُّ [(٣)] العود والصّــفّارُ [(٤)] ومنهمُ إسحاق [(٥)] البيطارُ
أعلمُ خلقِ اللهِ بالمـاخور [(٦)] وبحسابِ مُثلّثٍ وزير
وأعشقُ الناسِ لمن ينصرُهُ حتى يُطيلَ ليـلَهُ ويُسْهِرُهُ
ومنهم عيسى ابن شيخ وابنُهُ [(٧)] كلاهما لصٌّ حـلالٌ لعنهْ
يدعونَ للإمام كلَّ جُمْعه ولا يَرُدُّونَ إليــه قِطعَه
وهم يجورون على الرَّعيّــه فسادَ دين وفسادَ نيّــه
ويأخــذونَ مالَهمْ صُراحا ويخضِبُون منهم السـلاحا

أبو العباس وأعماله فى عهد أبيه الموفق :

ولم يزل ذلك دأبَ الناسِ حتى أُغيثوا بأبى العباس
الساهرِ العزمِ إذا العزمُ رقدْ الحاسم الداء إذا الداء وردْ

---

(١) يشير إلى أحمد بن طولون الذى ملك عرش مصر مدة كبيرة (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ)

(٢) « « العلوى صاحب الزنج وقد قتل بالبصرة عام ٢٧٠ هـ .

(٣) هو ابن أبى دلف الذى استقل بكردستان ، وهو عربى ، وخرج على الدولة فأخمدت ثورته عام ٢٨٣ هـ .

(٤) يعقوب بن الليث الصفار توفى بالأهواز عام ٢٦٥ هـ وتولى أمر دولته بعده أخوه عمرو الذى ظل فيها حتى قتل عام ٢٨٧ هـ .

(٥) الظاهر أنه من زعماء بنى شيبان الذين هزمهم المعتضد عام ٢٨٠ هـ .

(٦) مجمع أهل الفسق .

(٧) أحمد بن عيسى بن شيخ استقل بآمد وظل بها حتى توفى عام ٢٨٥ هـ وقام ابنه محمد مقامه ثم حاصرته جيوش المعتضد فسلم نفسه له عام ٢٨٦ هـ .

فجمّعَ الرأى الذى تفرّقا ... وأبرأ الداء الذى أعيى الرُّقَى
كم عزمةٍ بنفسه أمضاها ... لم يكلِ الأمر إلى سواها
كان لنا كأردشير فارس ... إذْ جدّ فى تجديد ملكٍ دارسِ
حتى اتّقوْه كلُّهم بالطاعه ... وصارَ فيهمْ مَلِكَ الجماعه

فتنة العلوى الثائر وقضاؤه عليها عام ٢٧٠ هـ

فلم يزلْ بالعلوىّ الخائنِ ... المُهلكِ المُخرِّبِ المدائنِ
والبائعِ الأحرارَ فى الأسواقِ ... وصاحبِ الفُجّار والمُرّاقِ
وقاتلِ الشيوخ والأطفالِ ... وناهبِ الأرواحِ والأموالِ
ومُهْلِكِ القصورِ والمساجدِ ... ورأسِ كلّ بدعةٍ وقائدِ
حتى علا رأسَ القناةِ رأسُهُ ... وزالَ عنه كيدُه وبأسُهُ
شيخُ ضلالٍ شرٌّ من فرعونِ ... لحيتُه كذنَبِ البِرْذَوْنِ
إمامُ كلّ رافضيّ كافرِ ... من مُظهرٍ مقالةً وساترِ
يلعنُ أصحابَ النبىّ المهتدِى ... إلاّ قليلاً عصبةً لم ترْتدِ
فكفّرَ الناسَ سواهمْ عندهُ ... فلعنةُ الله عليهِ وحدهُ
مازالَ حيناً يخدعُ السُّودانا ... ويدّعى الباطلَ والبهتانا
وقالَ سوفَ أفتحُ السّوادا[1] ... وأملكُ العبادَ والبلادا
ويدخلونَ عاجلاً بغدادا ... فلم يرَ الكذّابُ ذا ولاذا
صاحَبَ قوماً كالحميرِ جهلهْ ... وكلُّ شىءٍ يدّعيهِ فهوَ لهْ

---

(١) أى سواد العراق .

وقالَ إنّي أعلمُ الغيوبا   لم يرَ فيهم عالماً مجيبا

وبعضُهم يريدُ منه نفقهْ   ويتركُ الدسَّ عليه صدقهْ

فخرّبَ الأهوازَ والأبلّهْ(١)   وواسطاً قد حلَّ فيها حلّهْ

وتركَ البصرةَ من رمادِ   سوداءَ لاتوقنُ بالمعادِ

وأطعمَ الزنوجَ أطفالَ الناسْ   مكيدةً منه فأعظمْ من باسْ

فواحدٌ يُشدخُ بالعمودِ   وواحدٌ يُدخلُ في السّفودِ

وبعضُهم مسمّطٌ مربوطُ   وبعضُهمْ في مِرْجلٍ مسموطُ(٢)

وجعلَ الأسرى مُكتّفينا   أغراضَ نبلٍ ومُغلّينا

وبعضُهمْ يُحرقُ بالنيرانِ   وبعضُهم يُلقى عن الحيطانِ

وبعضُهم يُصلبُ قبلَ الموتِ   وبعضُهم يئنُّ تحتَ البيتِ

وهزمَ العساكرَ الجليلهْ   بشدةِ البأسِ ولطفِ الحيلهْ

ورامهُ موسى(٣) فما أطاقهْ   ومجّهُ من فيه حين ذاقهْ

وقدسقى مُفلحَ(٣) كأسَ القتلِ   وشكّه بمِخصفٍ(٤) ذي فصْلِ

وتركَ الأتراكَ بعدَ فقدِهِ(٥)   كذي يدٍ قد قُطعتْ من زندِهِ

وقتلَ (ابنَ جعفرٍ منصورا)   وكانَ قبلَ قتلِه كبيرا

من بعدِ ماصابرَ أيَّ صبْرِ   وأرجفَ الناسُ له بالنصرِ

والشيخَ قد أغرقه (نُصيْرا)   وقالَ حسبي فقدُهُ هذا خيْرا

أعني غلاماً لسعيدِ الاعورا   قد كان في الحروب موتاً أحمرا

---

(١) في الأصل : والنائلة وهو خطأ والأبلة أحرقت سنة ٢٥٦ .
(٢) مسمط : معلق . المرجل القدر من النحاس .
(٣) قائد كان في محاربة أصحاب الزنج .
(٤) المخصف : مخرز الاسكاف .
(٥) أي بعد قتل (مفلح) .

وكم سوى ذلك وهذاك وذا | أبادهم حتفاً وقتلاً هكذا
حتى إذا ما أسخطَ الإلٰها | وبلغت فتنته مداها
وشكَتِ الأرضُ إلى السماء | مافوقها من كثرةِ الدماء
وضاقتِ القلوبُ فى الصدورِ | وأيقنَتْ بحادثٍ كبيرِ
وارتفعتْ أيدى العبادِ شرَعَا | بعد الصلاةِ جُمعًا فجُمعًا
أغرى به اللهُ هِزَبراً ضَيغَمَا | إذا رأى أقرانَهُ تقدَّما
قد جرَّبَ الحروبَ حتَّى شابَا | فإن دعاهُ حادثٌ أجابَا
لاعاجزَ الرأى ولا بليدَا | لكن شجاعًا يخضِبُ الحديدا
فلم يزلْ عامًا وعامًا ثانيًا | وثالثًا يكابدُ الدواهيا
مجاهِدًا برأيهِ ونَصْلِهِ | ومالهِ وقولِهِ وفعْلِهِ
حتَّى لقد سمّوهُ بالكنَّاس | وعاينوا صعباً شديدَ الباسِ
مُسايِفاً مُطاعِناً مُنابِلاً | مُوافِقاً مُنازِلاً مُجاوِلاً
فكم له من شدَّةٍ وحمْلَهْ | وضرْبةٍ وطعنةٍ وقتْلَهْ
إنْ رقدُوا فإنَّهُ لايرْقُدُ | أو قعدُوا فإنَّهُ لايقعُدُ
يحبو المطيعَ ويبيدُ العاصيَا | ويخضبُ السيوفَ والعواليَا
ويقبلُ المستأمنَ المنيبَا | ويغفرُ الزَّلَّاتِ والذنوبَا
ولا تراهُ ناقضاً لعهدهِ | ولا يشوبُ باطلاً بجِدِّهِ
حتى قضى اللهُ له بالفتحِ | من بعدِ طولِ تعَبٍ وكدْحِ
ونَصَبَ الناسُ له القِبابَا | وشكرُوا المهيمنَ الوهَّابَا

رحلة أبي العباس إلى الشام وقضاؤه على الخارجين فيها :

ثم سما من بعد للشامين ... فجرّعوا من كأسه الصابين[1]
وعرفوا عند اللقاء صبره ... وشدّه يوم الوغى وكرّه

* * *

سل عنه قيلاً صرْعُه بشيْزرا ... وآخرا وآخرا وآخرا
وراكباً على النّجيبِ هاربا ... لمّا رأى من فعله العجائبا
جاء من الشام إلى الفسطاط ... يحثُّ عدْوَ الخيلِ بالسياطِ

محاربته للصفار عمرو بن الليث :

وحاربَ الصّفّارَ بعد الزنج ... فطارَ إلاّ أنهُ فى سرْجِ
وفرّ من قدّامِهِ فِرارا ... وكانَ قِدْمًا بطلاً كرّارا

مصرع أبي الصقر اسماعيل بن بلبل الوزير وكاد قبضه عليه عام ٢٧٨ :

وما نسينا مصرعَ الكفورِ ... الجاهلِ المخلّطِ المغرورِ
إذ قدّرَ الخلافَ والعصيانا ... فزادهُ ربُّ العُلاَ هوانا
يُكنَى بصقرٍ وأبوهُ بُلْبلُ ... هذا لعمرى باطلٌ لايُقبَلُ
مازالَ فى نخوتهِ وتيهِهِ ... لايأخذُ الصوابَ من وجوهِهِ
يُجهْوِرُ اللفظَ إذا تكلّما ... ويزْجُرُ العاقَ والمسلّما

قطائع أبي الصقر :

أجرأ خلقِ الله ظلماً فاحشاً ... وأجورَ الناسِ عقاباً بالوشى[2]

---

(١) فى النسخة الخطية : « الأمرين » .
(٢) أى بالوشاية .

يأخـذ من هذا الشقيّ ضيعَتَهْ وذا يريدُ مالَهُ وحُرْمَتَـهْ
وويلُ من ماتَ أبوهُ موسِرا أليسَ هـذا مُحْكَماً مُشَهّرًا
وطال فى دارِ البـلاء سجنُهُ وقال : مَن يدرى بأنكَ ابْنُهُ ؟
فقال : جيرانى ومن يعرفُنى فنتفوا سِـبالَهُ[1] حتى فَنِى
وأسرفوا فى لـكْمِهِ ودَفْعِهِ وخَدِرتْ أكفهُّمْ فى صفعِهِ
ولم يزلْ فى أضيقِ الحبوسِ حتى رمَى إليهمُ بالـكيسِ
وتاجرٍ ذى جوهرٍ ومالِ كانَ من الله بحسن حال
قيـلَ له عندكَ للسلطانِ ودائعُ غاليـةُ الأثمانِ
فقال : لا ، والله ماعنـدىَ لَهْ صـغيرةٌ من ذا ولا جَليـلَهْ
وإنما أربحتُ فى التجارهْ ولم أكن فى المال ذا خسارهْ
فدخَّنوهُ بدخانِ التِّـبْنِ وأوقدوهُ بثقالِ اللَّبْنِ
حتى إذا ملَّ الحياةَ وضجرْ وقال ليتَ المالَ جمًعا فى سقرْ
أعطاهمُ ماطَلبوا فأطلقا يستعملُ المشْىَ ويمشى العَنَقا
ثم بنى من الغُصُوبِ دارا فأصبحتْ موحِشَةً قفارًا
ماماتَ حتى انتُهِبتْ وهْو يرَى وبلَغُوا فى هدمِها إلى الثَّرَى
وأثبتَ الأعرابَ فى الديوانِ وقال إنى من بنى شيبانِ
مضطربُ الآراء والأحوالِ والزِّىِّ والألفاظِ والأفعالِ
يستعملُ الغريبَ فى خطابهِ وغامضاتِ النحوِ فى كتابهِ
ويزجرُ الناسَ إذا تكلَّما مُفَخَّماً مُجَهْوِراً مُغَلْصِماَ
كأنهُ قحطانُ أو معـدُّ ودارُهُ تهامةٌ أو نجـدُ

---

(١) السبال : ما أسبل من شعر الشارب فى اللحية

وكانَ قد كَنى ابنَـــهُ بثعلبِ ... كذا يكونُ العربىُّ واقلِبِ(١)

وهو على القطامِ ذو زئيرِ ... أبلغُ المُجْدِى من التنُّورِ

مرسَّمٌ ليافعٍ طويلِ ... مثلِ جناحِ الطائرِ المبـــلولِ

ثم إذا ماقامَ عن غذائهِ ... ومُزجتْ قهـــوتُه بمائهِ

تناولَ الريشةَ والطُّنبُورَا ... فأضحكَ الصغيرَ والكبيرَا

مذهب أبى الصقر :

وضاعتِ الأمورُ عنـد ذا كا ... وأظهـرَ التَّعطيلَ والإشرا كا

ومدحَ أفلاطونَ والفلاسفهْ ... وساعدتْهُ فى هواهُ طائفهْ

وذ كرَ السعودَ والنحوسَا ... والجوهرَ المعقولَ والمحسوسَا

وذرْعَ طولِ الأرضِ والأفلاكِ ... وكم بلادُ الصـــينِ والأتراكِ

والعرضَ الظاهرَ فى التجسيمِ ... والقولَ فى طبائعِ النجومِ

وذ كرَ التَّعديلَ والإقامهْ ... وقدَّمَ النظَّامَ أو ثمامهْ(٢)

واستثقلوا من قامَ للصـــلاةِ ... فـكيف من طوّل فى القراةِ(٣)

وطعنوا فى الفقهِ والحـــديثِ ... وعجبوا من ميّتٍ مبعوثِ

فلم يزل ذلكَ دأبَ الجاهلِ ... حتى رُمى بسهم حتفٍ قاتلِ

فليتَ شـعرى كان ذا فى لحمهِ ... وكان ذا فيما يرى من علمهِ

سبحانَ من أراحَ منـه الخلقَا ... فـكيف يحيا مثلُه ويبقى ؟

ثم استوتْ من بعده الخلافهْ ... وزالَتِ الرَّهْبَـــةُ والمخافهْ

---

(١) هكذا فى الأصل

(٢) إمامان من أئمة المعتزلة وتوفيا فى الربع الأول من القرن الثالث

(٣) أى القراءة

ولاية المعتضد الخلافة عام ٢٧٩ هـ :

وَوَلِيَ الملكَ إمامٌ عادلُ   قائلُ كلِّ حكمةٍ وَفاعلُ
مثلُ حسامِ العضبِ في جلائهِ   غدا به صَيْقَلُهُ بمائهِ
فلُقِيَتْ بيعتُهُ بالطاعهْ   ورضِيتْ بذلك الجماعهْ

مصر تصلح على فقرها بالخليفة :

فأنفذتْ مصرُ إليـه مالَهَا   فأصلَحت حضرًا إليه حالَهَا

الصفار عمرو بن الليث يذعن للخليفة :

وَسارعَ الصَّفَّارُ بالإذعانِ   وقبـلَ البيعةَ غير وانِ

عناية الخليفة بالجيش واختيار جنوده :

واختار من جنوده كل بطلْ   مجرَّبٍ إن حضرَ الموتُ قَتَلْ
ثم نَفَى كل دَخيـلٍ قد مرقْ   إذا رأى السيفَ جرى من الفرقْ
فإن غدا من فوق ظهرِ نَدَبْ[1]   كان إلى الأرض سريعَ الجنبْ
وإن رَمى كان مريض السهم   ذا وتَرٍ رِخْوٍ ضعيفِ الرَّجْمِ
يضحكُ منـه كلُّ من يراهُ   ويشتهي برجاسَه[2] قفاهُ
وهربتْ سهامُه من الهدَفْ   كأنه يرمي برجـلٍ لا بكَفْ
وإن بدا بالرمحِ كان أعجبا   تحسبُهُ قِرْدًا يجرُّ ذنبا

---

(١) الندب . الخفيف النشيط
(٢) البرجاس : غرض على رأس رمح أو غيره

سير المعتضد إلى الموصل :

حتى إذا صفّى خيارَ الجندِ ... وقال ياحربُ اهزلى أوجدّى
سار إلى الموصل ينوى أمرا ... فملأ البرّ معا والبحرا

قضاؤه على اللصوصية التى انتشرت فى البلاد وفى نهر دجلة :

وكبسَ اللصوصَ والأفرادا ... وأمّنَ البلادَ والعبادا
وجزعتْ من خوفهِ الفراعنهْ ... وأصبحتْ سُفْنُ التجارِ آمنهْ
وكانَ فى دجلةَ ألفُ ماخر ... لم يَعْنِها إلاّ جناحَ طائر
يجبُونَ كلّ مُقْبِلٍ ومُدْبِرِ ... مجاهرينَ بالفعالِ المُنْكَرِ
كم تاجرٍ راوغهمْ بزَوْرَقهْ ... فأغمدُوا سيوفَهم فى مَفْرِقهْ
وفرّتِ الأعرابُ فى البلادِ ... وأهلكوا إهلاكَ قومِ عادِ
فأودعُوا السفنَ مكتّفينا ... مُغلْغَلينَ ومصفّدينا
وبعضُهم مُراقةٌ دماؤُهمْ ... قد عبقتْ بريحهم صحراؤُهمْ
وكلُّهمْ قد كان لصًا عاديًا ... مازال قِدمًا يعملُ الدواهيا
لما رأى من السيوف بَرْقَا ... ملاَ السراويلَ الطوال زَرْقَا
فداسهم(١) دوْسَ الحصيدِ اليابسِ ... بالخيلِ والرجالِ والفوارسِ
حتى أتى المَوْصِلَ فاستهلّتْ ... لو قدرتْ صامتْ له وصلّتْ

خضوع أحمد بن عيسى للخليفة :

وأرسل الرسلَ إلى ابن عيسى ... وكادَ أن يجعلَهُ قَسيّسا
وهمَّ أن يدخلَ أرضَ الروم ... وظلّ فى كَرْبٍ وفى هموم

---

(١) الفاعل يعود إلى الخليفة

حتى افتـــدى حياتَه وأدَّى | مالا يهدُّ الحاملين هدّا
وأرسلَ الرسْـــلَ مع الهدايا | من عنده فكانَ هذا رايا[١]
فآثَرَ الحياةَ والهوانا | وما هُدِى حتى رأى الأمانا
وجاء إسحاقُ[٢] مطيعاً سامعاً | ولم يجدْ شيئاً سوى ذا نافعاً

حمدان بن حمدون بقلعة ماردين وظفر المعتضد به وحبسه ببغداد عام ٢٨٢ :

وقد أتى (حمدانُ) مثل هذا | فأدخـــلوه صاغراً بغداذا
وهدِّمتْ قلعـــتُه الحصينهْ | وأُخِـــذَتْ نعمتُه الثمينهْ

هارون الشارى وظفر المعتضد به عام ٢٨٢ بالموصل :

ولم يَدَعْ من بعـدهِ (هارونا) | وكانَ رأساً للشراة حينا
مُراوِغاً كالثعلبِ الجـــوّالِ | مستبصراً فى الكفرِ والضلالِ
يلعنُ عثمانَ ويبرا من علِى | واللهُ منه ذو الجلالِ قد برى
خليفةُ الأكرادِ والأعرابِ | وقائدُ الفُجّارِ والحُرّابِ[٣]
يدْعونه أميرَ مؤمنينا | بل كافراً أميرَ كافرينا
حتى حواهُ كفهُ[٤] أسيرا | وألبسوه الوشىَ والحريرا
وأركبوهُ أكبرَ البهائمِ | مركبَ كِسْرى مَلِكِ الأعاجم
آكلُ خلقِ اللهِ للعصائدِ | وماضغُ اللحومِ والثرايدِ
يشربُ جُبّا ويُعرّى مائدهْ | وهْىَ عليـــه فى العشىّ عائدهْ

---

(١) أى رأيا .
(٢) الظاهر أنه من زعماء بنى شيبان الذين هزمهم المعتضد سنة ٢٨٠ فطلبوا الصفح والأمان .
(٣) الحراب جمع حارب وهو الغاصب الناهب .
(٤) أى كف الخليفة .

حتى إذا قامَ إلى الحَفِـيرهْ ... ألفى كعنزٍ ربضتْ كسيرهْ

فمثلُ هذا طلبُوا الرِّياسهْ ... ولحميرِ الناسِ أضحَوْا ساسهْ

لاللمقالاتِ وعقدِ دِينِ ... لكنْ لخدعِ الجاهلِ المفتونِ

فنزلُوا منازلاً عليّـهْ ... وارتفعُوا عن موضعِ الرعيّهْ

رافع بن هرثمة وهزيمته عام ٢٧٩ ثم قتله عام ٢٨٣ على يد عمرو بن الليث:

وكانَ مما كانَ قبلَ (رافعِ) ... الناكثِ العهدِ الغرُورِ الخالعِ

غرسٌ من الروضِ زكا وأينعَا ... فاجْتُثَّ من مكانه واقتُلِعَا

إذا أراد فتنةً لايجترِى ... خوفاً ويُبْدِى غيرَ ذاكَ ويُرِى

مازالَ يبدى طاعةً مريضهْ ... وهو يرَى عصيانَها فريضهْ

حتى إذا ما استحكمتْ مرائرُهْ ... وثقُلت من دائه ضمائرُهْ

وقادَ آلافاً من الضُّلَّالِ ... يعدُّهم للحربِ والقتالِ

ناداهُ سلطانُ الأمانى الكاذبهْ ... وهى على رأسِ الشقىّ غالبهْ

وأظهرَ الخلافَ والعصيانَا ... ونصرَ الباطلَ والبهتانَا

وبيّضَ الزِّىَّ على أجنادهِ ... فخلعَ السوددَ من سوادهِ

وما الذى أنكرَ من تسويدنا ... ومَنْ عليهِ لجَّ فى تفنيدِنَا؟

وإنما كان حِدادَ الهيمِ ... عَلَى الحسينِ[1] وعَلَى إبراهيمِ[2]

وكم حوَى من فُجْرَةٍ وغيّهْ ... مُذَكِّرًا بما حوتْ أُميّهْ

ولم يزل دهراً عَلَى ضَلالِهْ ... ذا بَطَرٍ لجندِهِ ومالِهِ

يدعو النبيَّ وعليًّا الرِّضى ... منهم وعنَّا وجهَهُ قد أعرضَا

---

(١) الحسين بن على بن أبى طالب .

(٢) هو إبراهيم الامام الذى قتله بنو أمية عام ١٢٤ هـ .

ولو أضاعَ الناسُ هـذا الدينا لقعَدُوا يبغونَهُ سنينا
فاختلفُوا فقال قومٌ: هـذا ؛ وقال قوم آخرون : لا ، ذا
وضاعت الأحكام والشرائعُ ولم يكن للناسِ أمرٌ جامعُ
وقرَّتِ العينُ من الشيطانِ بما يَرَى فى أُمَّةِ الإيمانِ
من خـيرِ آلِ أحمدَ المطهرِ وارثِ كلِّ عزةٍ ومفخرِ
عليكَ لعنُ الخالقِ المهيمنِ إلاَّ بنو عمِّ النبيِّ المؤمنِ
ذاك سقى اللهُ به (عليًا) (وعُمرًا) من السماء الرّيا(١)
ونَصّـبوه قائمًا يدعو لهم فحقّقَ الرحمنُ فيه سؤلهم
وهل رِضاً إلا أبو العباسِ الواسعُ الحلمِ الشديدُ الباسِ

رافع وإرسال رأسه الى بغداد :

مازالَ يأتى لك ما تريد حتى أتى برأسـهِ البريدُ
وابتهج الحقُّ وأهلُ السُّـنهْ وشكروا للهِ تلكَ المِنَّهْ
وأصبحَ الرَّوافضُ الفجَّارُ يُخفُونَ حُزْنًا فوقه استبشارُ

المعتضد يأمر عام ٢٨٢ بترك افتتاح الخراج فى النيروز وتأخيره الى اليوم الحادى والعشرين من حزيران وسمى ذلك النيروز المعتضدى :

ومن أياديه على الكبيرِ من العبادِ وعلى الصـغيرِ
والنازح الدارِ البعيدِ عنـه فى كلِّ أرضٍ والقريب منهُ
تأخيرُهُ النـيروزَ والخراجا ولو أرادَ أخـذَهُ لَراجا
تـكرُّمًا منـه وجوداً شاملا وحزمَ تدبيرٍ وحُكمًا عادلا

---

(٤) الرى مفعول سقى ، وهو يشير الى استسقاء عمر بالعباس لما امتنع المطر .

مساوئ نظام الخراج القديم :

وعهدُنا بكل من كان مَلِي — مُسْتأدِياً والزرعُ لم يُسَنْبلِ
فكمْ وكمْ من رجُلٍ نبيلِ — ذى هيبةٍ ومركبٍ جليلِ
رأيتهُ يعتقلُ بالأعوانِ — إلى الحبُوسِ وإلى الديوانِ
حتى أُقيمَ فى جحيمِ الهاجرهْ — ورأسُه كمثلِ قِدْرٍ فائرهْ
وجعلوا فى يده حبالاً — من قُنَّبٍ[1] يقطِّعُ الأوصالا
وعلَّقوه فى عُرَى الجدارِ — كأنهُ برَّادةٌ فى الدارِ
وصَفَقوا[2] قفاهُ صفقَ الطَّبْلِ — نُصُباً بعين شامتٍ وخِلِّ
وحمَّروا نُقْرتهُ بين النَّقرْ — كأنَّها قد خجلت ممن نظرْ
إذا استغاثَ من سعيرِ الشمسِ — أجابهُ مستخرجٌ برَفْسِ
وصبَّ سجَّانٌ عليه الزَّيْتا — فصار بعد بزَّةٍ كُمَيْتا[3]
حتى إذا طالَ عليه الجهْدُ — ولم يكن مما أرادَ بُدُّ
قال إئذنوا لى أسألِ التجارا — قرْضاً وإلاَّ بعتُهم عقارا
وأجِّلونى خمسة أياما — وطوِّقونى منكمُ إنعاما
فضيَّقوا وجعلوها أربعهْ — ولم يؤمِّلْ فى الكلامِ منفعهْ
وجاءهُ المعيِّنونَ الفجَرهْ — وأقرضوهُ واحداً بعشرهْ
وكتبوا صكّاً ببيع الضَّيْعهْ — وحلَّفوهُ بيمين البَيْعهْ
ثم تأدَّى ماعليه وخرجْ — ولم يكن يطمعُ فى قرب الفرج
وجاءهُ الأعوانُ يسألونه — كأنهم كانوا يذلِّلونه

---

(١) القنب : نبات ليفى يفتل منه الحبال .
(٢) الصفق : الضرب يسمع له صوت .
(٣) البزة : الهيئة والشارة الحسنة ، الكميت : بين الأشقر والأدهم

وإن تَلَكّأ أخذوا عمامته ... وجمّشوا أخدعهُ وهامته

فالآنَ زال كلُّ ذاك أجمعُ ... وأصبحَ الجورُ بعدلٍ يُقمَعُ

قصر الرباب الذى بناه المعتضد عام ٢٨٧ :

ولا بَنَى بانٍ من الخلائفِ ... ولا ملوكُ الرومِ والطوائفِ

كما بنى من أعجب البناء ... لازال فينا دائمَ البقاء

فرجعت كغادةٍ كَعابِ ... تقرُّ فيها أعينُ الأحبابِ

فمن رأى مثل (الرَّباب) قصرا ... كم حكمةٍ فيه تخالُ سِحْرا[1]

والنهرُ والبستانُ والبُحَيْرَهْ ... قد جمعَ الماءُ إليها طيْرَهْ

وللبُزاةِ معها وقائعُ ... فقانِصٌ فى جوفها وواقعُ

وبعضُها يُذْبَحُ فى الأكفِّ ... مأسورةٌ قد رُميتْ بحتفِ

وما رأى الراءونَ مثلَ الشجرَهْ ... ذاتَ غصونٍ مُورقاتٍ مُثمِرَهْ

وَلم يكنْ غرساً ترابُهُ الثرى ... ولم يكن من جنّةٍ تُسْقى بما

لكنها تُخبرُ عن حكيمٍ ... موفقٍ مُجرِّبٍ عليمِ

مُفكرٍ من قبل أن يقولا ... ويحسنُ التفهيمَ والتمثيلا

كأنها من شجراتِ الجنَّهْ ... أنزلها إلهُنا ذو المِنّهْ

والقبّةُ العلياءُ والأُتْرُجّه ... مُلّكَ فيها أربعينَ حِجّه

جمال المبانى بالزبيدات :

وبالزُّبيدات فلا تنساها ... قُرّةُ عينٍ كلِّ من رآها

أبنيةٌ فيها جنانُ الخلدِ ... لكلِّ ذى زُهْدٍ وَغير زهدِ

---

(١) كذا فى الأصل

ربَّ عدوٍّ هابها وَذُعِرا ... وملأتْ عينيه لمَّا نظرَا

كانت على ساكنها دليلاً ... جليلةً قد وصفتْ جليلا

ومُذْكِراتٌ لجنانِ الخُلْدِ ... لطيفةٌ ما إن لها من نِدِّ

ومظهراتٌ قوةَ الإسلامِ ... على أعاديهِ من الأنامِ

تخبرُ عن عزٍّ وعن تمكينِ ... وحكمةٍ مقرونةٍ بالدينِ

كذاك كان فاعلا سليمانْ ... إذ أمكنتْهُ حكمةٌ وسلطانْ

والتُّبعيُّونَ وبُخْتَ نَصَّرْ ... وحكماء الرومِ والإسكندرْ

وملكُ الملوكِ أعني جعفرا[1] ... كفى به للفاخرينَ مَفْخَرا

كم لهمُ من نهرٍ وقصرِ ... وأثرٍ باق جديدِ الذكر

فلم يزلْ للغابرينَ عجبا ... ومَفْخَراً للوارثينَ حَسَبا

ومن أطاعَ رغبةً ورهبهْ ... أكثرمن قومٍ أطاعوا حسبهْ[2]

لاسيَّما إن طال عمرُ الأمَّهْ ... ونظرتْ سلامةً ونعمهْ

واختلفتْ وأحدثتْ أحداثا ... والتاثَ أمرُ دينها التياثا

فما لذاك الداء من دواء ... إلا امتزاجُ الخوفِ بالرجاء

وكلما فُخِّمَ أمرُ المملكهْ ... وَجَدَّ من ضغنِ الأعادي حُنُكهْ

---

(١) هو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني م سنة ١٥٨ هـ وهو باني مدينة بغداد

(٢) أي أجراً وثوابا

فتح آمد بالأمان عام ٢٨٦ وكان صاحبها محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ وقبض المعتضد عليه وحبسه عام ٢٨٧ هـ :

ومعظمُ الفتوح فتح آمِدِ ‏ ‏ مَعْقِل كلِّ فاجرٍ معانِدِ
لم تُرَ قطُّ مثلها مدينهْ ‏ ‏ منيعةٌ بسعدِها حصينهْ
فلم يزلْ برأيه وحِيَلِهْ ‏ ‏ وحزمِهِ فى قولِهِ وعَمَلِهْ
يذوقها بالرِّفْقِ أيَّ ذوقِ ‏ ‏ والجيشُ حول سُورِها كالطَّوْقِ
حتى استغاثَتْ بالأمانِ صاغرهْ ‏ ‏ وأغمدَ السيفُ بكفٍّ قادرهْ
وحازَ منها كلَّ ما كان جَمَعْ ‏ ‏ فيها قديماً لُكَعُ ابن لُكَعْ
ثم عفا عن ابن شيخ بعد ما ‏ ‏ قد نقضَ العهد الذى قد أحكما

الخليفة فى الرقة وقبضه على راغب مولى أحمد عام ٢٨٦ :

ثم أتى الرَّقَّةَ ينوى أمرا ‏ ‏ فلم يزل فيها مقيما شهرا
فزلزلَ الشامَ وشقَّ دارهِ ‏ ‏ وقرُبَتْ منها شَبا أظفارهِ
وبادرت مصرُ إلى رضائهِ ‏ ‏ خشيةَ أن تُصْعَقَ من سمائهِ
وحَمَلَتْ أموالَهَا إليه ‏ ‏ وخافَتِ البطشةَ من يديهِ
وعاد منصوراً إلى (الثريا) ‏ ‏ وكلُّ ما أراد قد تهيَّا

قدوم الوزير عبيد الله بن سليمان والأمير على بن المعتضد بغداد بعد أعمال حربية كبيرة عام ٢٨٦ هـ :

وجاءهُ الوزيرُ والأميرُ ‏ ‏ بغبطةٍ فكَمُلَ السرورُ

مظفرٌ مَنْ قد أبادَ (بَكْرا)(١) ومات خوفاً منهما وذعرا
لَمّا رأى الجيوش صار ثعلبا يجرُّ فى كلِّ البلادِ ذنبا
وقتلا اللصوصَ والأكرادا وعمّرا من بعدها البلادا
لم يُرَ قطُّ صاحباً إمام مثلهُما فى سائرِ الأنامِ
إلا أبا الحسين أعنى قاسِمَا(٢) أحضرَ خلقِ الله رأياً حازما
ثلاثةٌ للملكِ كالأثافى قوادمُ ليستْ من الخوافى
دينهمُ الطاعةُ للخليفهْ ونيّةٌ ناصحةٌ عفيفهْ
وحزمةٌ فى الرأىِ والمشورهْ قديمةٌ معروفة مشهورهْ
وانظرْ إلى التوفيق باختيارهمْ والعلمِ بالناسِ وباختبارهمْ

قتل صالح بن مدرك الطائى عام ٢٨٧ وكان قطع طريق الحاج عام ٢٨٥

وصالحُ بنُ مدركٍ قد أدْرَكا بما جناهُ ظالماً وانتهكا
فكم مُلَبٍّ أشعثَ قد أحْرَما يرجو من الله العطاء الأعظما
جاء إلى الكعبةِ من أرْمينيهْ ومن خراسانَ ومن إفْريقيهْ
وعابدٍ جاء من الشاماتِ قد سار فى البرِّ وفى الفراتِ
وتاجرٍ معْ حَجّهِ وعُمْرتهْ يطلبُ ربحَ مالهِ فى سفْرتهْ
مُقدّرٍ فى الربح أضعافَ الثمنْ من قاصدٍ صنعاً إلى أرض عدنْ
فهم كذاك سائرونَ ظُهرا أو تحتَ ليلٍ أوضحًى أو عصْرا
إذ قال قد جاءكم الأعرابُ وكَثُرَ الطّعانُ والضّرابُ

---

(١) هو بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف وقد مات بطبرستان
(٢) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزر للمعتضد بعد وفاة أبيه سنة ٢٨٨ هـ

وصارَ في حَجّهم جهادُ ‌ ‌ ‌ واحمرّتِ السيوفُ والصِّعادُ[١]

و (صالحٌ) يسعرُ نارَ الحربِ ‌ ‌ ‌ في شرِّ أعوانٍ وشرِّ صحبِ

فكم أباحَ من حريم ممنوعْ ‌ ‌ ‌ وكم قتيلٍ وجريحٍ مصروعْ

وكم وكم من حُرَّةٍ حواها ‌ ‌ ‌ سَبِيَّةٍ وزوْجُها يراها

وتاجرٍ عُرْيانَ يدعو بالحَرَبْ ‌ ‌ ‌ لامالَ أبقاهُ له إلاَّ سَلَبْ

فلم يزل كيدُ الإمامِ يرقبُهْ ‌ ‌ ‌ يتركُهُ طوراً وطوراً يطالبُهْ

حتى إذا حاطتْ به آثامُهْ ‌ ‌ ‌ وقرَّبَتْ من الردى أيامُهْ

دس إليه قاصداً (أباالأغرْ)[٢] ‌ ‌ ‌ بحيلةٍ مكتومةٍ عن البشرْ

قد راضها في قلبه زمانا ‌ ‌ ‌ حتى إذا أتقنها إتقانا

أظهرَ ما في أمرهِ المقبول ‌ ‌ ‌ فجاءهُ برأسهِ المحمولِ

يميلُ مغروزاً على القناةِ ‌ ‌ ‌ كمثل نَشْوانَ عَلَى الأصواتِ

رؤية المعتضد للرسول صلى الله عليه وسلم :

حتى إذا قاربَ عدَّ العشْرِ ‌ ‌ ‌ في مُلْكِهِ من السنين الزُّهْرِ

وقمعَ الجورَ بحكمٍ عادل ‌ ‌ ‌ وملأ الدين بحقٍّ شاملِ

بدا له النبي في المنام ‌ ‌ ‌ حلمٌ يقينٌ ليس كالأحلامِ

يشكرُهُ لحزمهِ ورأفتهْ ‌ ‌ ‌ وحسنِ مايفعلُ في خلافتهْ

بشارةٌ دلَّتْ على الرضوانِ ‌ ‌ ‌ من ربّهِ ذي المنِّ والاحسانِ

والله يولِي الفضل مَنْ يشاءُ ‌ ‌ ‌ بكلِّ شيءٍ سَبَقَ القضاءُ

---

(١) هي الرماح

(٢) هو أبو الأغر السلمي وهو الذي احتال حتى قتل صالح بن مدرك .

فدفع اللهُ الخطوبَ عنــهُ ونحنُ للسوءِ فداءٌ منــهُ

أسر إسماعيل بن أحمد السامانى لعمرو بن الصفار عام ٢٨٧ وإرساله أسيرا إلى بغداد عام ٢٨٨ وعودة فارس إلى نفوذ الخليفة :

ثم حوى من بعــد ذاك فارسًا كم نَهَبَ مالٍ كانَ منه آيسًا
وطالما كانت لعمرى طُعْمَهْ يأكلُ منها ثمراتٍ جَمَّهْ
وكانَ لايحملُ من أموالها شيئاً وَيستقصِى على استئصالها
سوى هدايا كلَّ حولٍ كاملِ يُشهرُها فى السوقِ والمحافلِ
رسولُه كأنه قد أفلحاَ وقد أتى بطائلٍ وأنجحاَ
منها رمادىٌّ كميتٌ قد صَفَنْ وغلمة فى القدِّ يعلوهم دَرَنْ(١)
فإن عدا ذاكَ فبازٌ أبيضُ وَفرَسٌ حافرُهُ مُفَضَّضُ
ثم أتتْ سعادةُ الخليفهْ وَحيــلةٌ خفيَّةٌ لطيفهْ
وانقَضَّ إسماعيــلُ من بلاده إليــه حتى صار فى قيادِهِ
وهكذا عاقبةُ الطغيانِ وطاعةُ الأنفسِ للشيطانِ
وجاء مالُ فارسٍ مُوَفَّرَا كعهدِهِ فيما مضَى وأكثرا
وحُملَ الصَّــفَّارُ فى القيودِ إلى إمام الأمة الســعيدِ

قتل إسماعيل السامانى لمحمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان عام ٢٨٧ :

ثم ابنُ زيدٍ بعد ذاك قد قُتِلْ لم يُنجِهِ حصنٌ ولا رأسُ جبلْ
وأسلمتْهُ للسيوفِ والقنا جندٌ أجابوا منــه حينَ قدْ دنا
وطالما عاثَ وجارَ وعَنَدْ وَقامَ يَبغى الملكَ حِيناً وَقعَدْ

---

(١) القد : السير يقد من الجلد . الدرن : الوسخ .

سلْ عنــه كل كدّة وحِجْرِ   فى طَبَرِسْتان وَوَادٍ وَعِرْ [(١)]

فكانَ ماقد خيفَ أن يكونا   وصار حقًّا قتــلُه يقينا

القبض على وصيف وقتله عام ٢٨٨ :

واسأل ثغورالشام عن وصيفِ   تُخْبِرْ بفتحٍ عجب ظريفِ

قال أريدُ الغزوَ وهو آبقُ   وليسَ يَخفى كاذبٌ وصادقُ

وقال وَلُّونِيَ فى مكانِ   وجاهرَ الإسـلامَ بالعصيانِ

وسارَ بل طارَ إليـه عسكرُهْ   ما كانَ إلا بالعيان خـبرُهْ

فعاينَ الموتَ الذى منه هربْ   ومن يفوتُ قدراً إذا اقتربْ ؟

فكم وكم من هاربٍ ذليـلِ   وكم أسيرٍ خاضعٍ مغـلولِ

وتائبٍ إلى الإمامِ يعـدو   وذلُّه من قبــله أشدُّ

لِمَا أُتيحَ لوصيفٍ خاقانْ   فعلِمتْ كيفَ الرجالُ الخصيانْ

مؤنس ووصيف وجهودهما فى القضاء على وصيف التركى خادم أبى الساج :

و (مؤنس) عاديةٌ عليـهِ   وغلٌّ من ساعتــهِ يديهِ

ولوصيفٍ فى وصيفٍ أيضا   يدٌ فقد خاضَ المنايا خوضا

من بعدماأردى وصيفٌ فى الوغى   سَمِيَّهُ ولم يكنْ مِمَّنْ بغَى

وماتَ الأفشين [(٢)] عليه حَسْرَهْ   ومابكت عينٌ عليــه قطرَهْ

القبض على نوار آخر بني :

وصارَ أيضا قد طغى بغيلُ   ذاك الذى تصحيفُه نغيــلُ

---

(١) السكدة : الأرض الغليظة . الحجر جمع حجرة وهى الناحية .

(٢) هو محمد بن أبى الساج الملقب بالأفشين ومات بأذربيجان سنة ٢٨٨ هـ .

فوافق الخادمُ فى الطريقِ   مُقَيَّدًا أقبحَ من رقيقِ
وابنُ البغيلِ وأُناسٌ أُخَرُ   قد كسبوا من أرضهم وأثروا
فأُدخلوا مدينة السـلام   وآخـذتهم ألسنُ الأنامِ
تخطر من تحتهمُ الجمالُ   وفوقَهُمْ قلانِسٌ طوالُ

القرمطيون وشرائعهم الفاسدة :

والقَرْمطيونَ ذوو الآجامِ   طغوْا فقد باءوا مع الآثامِ
وشرَعوا شرائعَ الفسادِ   وأُهلكوا إهلاكَ قومِ عادِ
كانوا يقولونَ إذا قُتلْنَا   صبراً على مِلَّتِنَا رجَعْنَا
من بعـد أيامٍ إلى أهلينا   فقبَّحَ الرحمنُ هذا الدينا
وضرطَ العنزُ على هذا الخبرْ   فهؤلاء الحمقُ من يأبى سقرْ ؟
يجاهدونَ عن إمامٍ مختفى   يُقَرِّبُ الوعدَ لهمْ ولا يفى
يالَ علىّ يا أبا علىّ   هذا لعمرى سَـفَهٌ وعىّ
ليس يَزيدُ الناسَ أن تروسُوا[1]   ولا يزيد الملكَ أن تَسُوسُوا
ولا أراكم تحسنونَ ذا كا   كلا ولا أنْ تُهلَـكُوا إهلا كا
ولا تكونوا حطباً للنار   فربَّ أشرارٍ من الأخيارِ

الصفار يدخل بغداد مأسورا عام ٢٨٨ ومات فى الحبس عام ٢٨٩ :

وأُدخل الصَّفَّارُ شرَّ مدخلِ   يئنُّ من عصّ حديدٍ مُثقلِ[2]
بغدادَ فوق جَمَـلٍ مغلولا   أولَ يومٍ مِنْ جمادى الأولى
وقال شاذانُ وقـد رآه   كما يُحِبُ كلُّ من عاداه
ليثٌ رماه الله ذو المعارج   بفالجٍ قبل ركوبِ الفالجِ[3]

(١) مخفف ترأسوا من الرئاسة .
(٢) عص الشىء : صلب واشتد .
(٣) الفالج الجمل الضخم .

وفود ملك الروم إلى المعتضد عام ٢٨٨ للفداء :

وملك الروم أتى كتابهُ بذلّةٍ تزفّهُ أصحابهُ
فادخلوا بغداد فى شهر رجب وأيقن التركُ بنصرٍ وغلبْ
وسألَ الهدنةَ والفداء فلم يجدْ من دائهِ شفاء
ثم بدا للصيّدِ من آل على مجانبٌ فعالَ ذى الرُّشد التقِى

بنو يعفر بصنعاء :

حبذا رعادا بصنعاء اليمن دبّاغَ أجلادٍ وقتّنا ذا الدرنْ
وناسِجا للبرد والحَبير وآكلا للبالِ فى الهجير
أتباعُ أمْرَةٍ وأسرى هُدْهُدِ إنْ حضَروالم يُبكِرْمُوافى المشهدِ
وحُقِرُوا لمّا عتَوْا وأشرَكوا فَفَرّقُوا بغارةٍ وأُهْلِكوا
راغوا عن الإرشاد والتسديدِ واقتبسوا خلائقَ القرودِ
وسمعوا نعقةَ غاوٍ جاهل فاتّبعُوهُ رغبةَ فى الحاصلِ
فسلّطُوا (ابنَ يعفرٍ) عليهم ، وسارَ فى عسكرهِ إليهم
فأصبحوا كأنهم ما كانوا جزاءَ ماقد فجَرُوا وخانوا

فتح المعتضد لبلادهم عام ٢٨٨ هـ :

وجاء بالفتح كتابٌ واردُ بصدْقهِ اشتدَّ بريدٌ جاهدُ
وأشخص الأميرُ نحوَ طاهرِ يسحبُ أذيالاً من العساكرِ
حتى نفاهُ من تخوم فارسِ وبانَ عنها بضميرٍ آيسِ

الكوفة :

واستمع الآن حديثَ الكوفه مدينةٌ بعينها معروفه
كثيرةُ الأديانِ والأئمهْ وهمُّها تَشتيتُ أمرِ الأمّهْ
مصنوعةٌ بكفر بُختنصّرْ وكفرِ نمرودٍ إمامِ الكفَرَه
وعشّشَ الشُّحْرُ بها وفرّخا ثم بنى بأرضِها ورسّخا

وغرق العالمُ من سِنوِّرِها　　جزاء شرٍّ كان من شرورها
وهربتْ سفينةُ الطوفانِ　　منها إلى الجوديِّ والأركانِ
وهم بنوا للجور صرحا محكما　　فاتخذوا إلى السماء سُلّما
ولم يزل سكانُها فُجّارا　　مستبصراً فى الشّرك أو سحّارا
تفرّقوا وبُلبلوا بلبالا　　وبُدّلوا من بعد حال حالاً
وهم رموْا فى النار إبراهيماَ　　لمّا رأوا أصنامهم رميما
ودانيالاً طرَحُوا فى الُجبِّ　　كفْرًا وشكاً منهمُ فى الربِّ
وخذَلوا وقتلوا (عليًا)　　العادلَ البرَّ التقِى الزكيًا
وقتلوا الحسينَ بعد ذاكا　　فأهلكوا أنفسهم إهلاكا
وجحدوا كُتُبَهُمْ إليهِ　　وحرّفوا أقرانهمْ عليه
ثم بكوا من بعده وناحوا　　جهلاً كذاك يفعل التّمساحُ
فقد بقوا فى دينهم حيارى　　فلا يهودٌ هُم ولا نصارى
والمسلمونَ منهمُ براء　　رافضةٌ ودينهُمْ هَباء
فبعضهم قد جحدوا الرسولا　　وغلّطوا فى فعله جبريلا
وبعضهم قالوا عليٌّ ربُّنا　　وحسبُنا ذلك ديناً حَسْبُنا
ومنهم الشّراة والخُرّابُ　　إن سمعوا ببيعة أجابوا
كم أسلموا من طالبٍ مغرور　　وهربوا يوم وغًى مشهورِ
وليس منهمُ سوى ابنٍ للنبى　　وأنا أفـــديه بأمى وأبى
حتى إذا ماالحربُ قامت سُوقُها　　بالضربِ والطعنِ وصاحَ بُوقُها
طاروا كما طار رَمادَ الجمرِ　　ووهبوهُ للرماح السمرِ

ابن أبى القوس بالكوفة وقتله وصلبه ببغداد :

و (ابن أبى القوس) لهم نبىٌّ　　إمامُ عــدلٍ لهم مرضىٌّ

خفف عنهم من صلاة الفرض ... وقال ناب بعضها عن بعض
فاذهب إلى الجسر تجده فارسا ... على طمر لا سرير جالسا
وتلك عقبى الغى والضلال ... والكفر بالرحمن ذى الجلال
ثم انقضى أمر الإمام المعتضد ... بكل عمر فإلى يوم نفد
ومات بعد مائتين قد خلت ... فى عام تسع وثمانين مضت
والحى منقاد إلى الفناء ... والرزق لابد إلى انتهاء

تمت أرجوزة ابن المعتز فى تاريخ الخليفة المعتضد

أرجوزة ابن المعتز
فى ذم الصبوح

لى صاحب قد لامنى وزادا ... فى تركى الصبوح[1] ثم عادا
وقال هلا تشرب بالنهار ... وفى ضياء الفجر والأسحار
إذا وشى بالليل صبح فافتضح ... وذكر الطائر شجوا فصدح[2]
والنجم فى حوض الغروب وارد ... والفجر فى أثر الظلام طارد
ونفض الليل على الورد الندى ... وحركت أغصانه ريح الصبا
وقد بدت فوق الهلال كرته ... كهامة[3] الأسود شابت لحيته
فنور الدار ببعض نوره ... والليل قد أزيح من ستوره
وقدت[4] المجرة الظلاما ... تحسبها فى ليلها إذاما
تنفس الصبح ولما يستعل ... بين النجوم مثل فرق مكتهل[5]

---

(١) الشرب فى الصباح .
(٢) الشجو : الحزن ، صدح : غرد ؛ والمعنى لا تشرب حين ظهور ضوء الصباح فى الليل .
(٣) الهامة : الرأس .
(٤) أى شقت .
(٥) تنفس : ظهر : يستعل مخففة من يستعلى ، الفرق : وسط الرأس .

وقال : شربُ الليل قد أذانا   وطَمَسَ العقولَ والأذهانَا
وشكتِ الجنُّ إلى إبليسِ   لأنهم فِي أضيق الحبُوسِ
أما ترى البستانَ كيف نوَّرا   ونشر المنثور زهرًا[١] أصفرا
وضَحِكَ الوردُ إلى[٢] الشقائق   واعتنقَ القطرَ اعتناق الوامِق[٣]
فى روضةٍ كحُلَّةِ العَرُوس   وخُرَّمٍ كهامةِ الطاووس[٤]
وياسمينَ فى ذُرَى الأغصانِ   مُنتظمًا كقِطَعِ العِقيانِ
والسَّرْوُ مثل قِطَعِ الزبرْجدِ   قد استمدَّ الماء من تربٍ ندى
على رياضٍ وثرًى نَدِيِّ   وجدولٍ كالبُرْدِ الحليِّ
وفَرَج[٥] الخشخاش جيبًا وفتقْ   كأنه مصاحفٌ بيضُ الوَرَقْ
حتى إذا ما انتشرتْ أوراقُهُ   وكادَ أن يرى إلينا ساقُهُ
صار كأقداح من البلّور   كأنما تجسّمتْ مِنْ نُورِ
وبعضه عُرْيانُ من أثوابِهِ   قد خجل الأعْيُنُ من صحابه
تبصرُه بعد انتثارِ الورد   مثل الدبابيس بأيدى الجند
والسَّوْسَنُ الأبيض منشورُ الحُلَلْ   كقطنٍ قد مسّه بعض البَلَلْ
نوَّرَ فى حاشيتى بستانِهِ   ودخَلَ البستانَ فى ضمانِهِ
وقد بدتْ فيه ثمارُ الكنكر[٦]   كأنها جماجم[٧] من عنبر
وحَلَّقَ البهارُ[٨] فوق الآسِ   جمجمة كهامة الشمّاسِ

---

(١) « زهرا » رواية زهر الآداب (٢٤١ / ٢) . ورواية الديوان : « بردا » .
(٢) هذه رواية الزهر ، ورواية الديوان : « على » .
(٣) العاشق .
(٤) الحلة : الثياب . الهامة : الرأس . الخرم : نوع من الزهور .
(٥) هذه رواية الزهر (٢٤١ / ٢) ، ورواية الديوان : وفرش .
(٦) نوع من الثمار .
(٧) ورواية الديوان جمائم وهى تحريف .
(٨) البهار : نبت طيب الرائحة .

خلالَ شيحٍ (١) مثل شيب النَّصَفِ　　وجوهر من زهر مختلفِ
وجُلَّنار (٢) كاحمرار الخـد　　أو مثل أعراف ديوك الهند
والأقحوان كالثنايا الغُرِّ　　قد صُقلتْ أنوارُها بالقطر (٣)

❁

قل لى أهـذا أحسنُ بالليل　　وَيْلى مما تشتهى وعَوْلى (٤)
وأ كْثَرَ الفصولَ والأوصافا　　فقلتُ قـد جنَّبْتُكَ الخلافا
بتْ عندنا حتى إذا الصبحُ سَفَرْ　　كأنَّه جـدولُ ماء منفجرْ
قُمْنَا إلى زادٍ لنا مُعَدِّ　　وقهوةٍ (٥) صرّاعةٍ للجَلْدِ
كأنما حَبَابُها (٦) المنثورُ　　كواكبُ فى فلكٍ تدورُ
ولا تقلْ لقـد ألفتُ منزلى　　فتُفْسِدَ القولَ بعُذرٍ مُشْكِلِ

❁

فقال هـذا أولُ الجنون　　متى ثَوَى الضبُّ بوادى النُّونِ (٧)
دعوتُكم إلى الصبوح ثمَّ لا　　أكونُ فيه إذْ أجبتمْ أوَّلا
لى حاجةٌ لابُدَّ من قضائها　　فتستريحُ النفسُ من غشائها
ثم أجى والصبحُ فى عنانِ　　من قبـل أن يُبدْأَ بالأذانِ
ثم مضى يُوعِدُ بالبُكُورِ　　وهزَّ رأسَ فرحٍ مسرورِ
فقمتُ منـه خائفاً مُرْتَاعَا　　وقلتُ ناموا ويحكمْ سِرَاعَا

---

(١) هذه رواية الزهر ، ورواية الديوان حبال نسج .
(٢) زهر الرمان ورواية الديوان مثل جر الخد .
(٣) الأقحوان : نبات له زهر أبيض ووسطه أصفر . الثنايا مقدم الأسنان فى الفم . الغر : البيض الأنوار : الأزهار .
(٤) العول : الشدة .
(٥) الخمر .
(٦) الفقاقيع التى تظهر فوقها .
(٧) النون : الحوت .

ونحنُ نُصغى السمعَ نحو البابِ ... فلم نجدْ حِسًّا من الكذّابِ

حتى تبدَّتْ حمرة الصَّباح ... وأوجعَ الندمانَ سَوْطُ الراحِ

وقامت الشمسُ على الرؤوس ... وملكَ السكرُ على النفوس

جاء بوجهٍ باردِ التبسُّمِ ... مُفتضَحٍ لِما جنى مُذمَّمِ

يعثرُ وسطَ الدارِ من حَيائهِ ... ويكشفُ الأهدابَ من ورائهِ

تعطعطَ(1) القومُ بهِ حتى بدرْ ... وافتتحَ القولَ بعيٍّ وحَصَرْ

لتأخذَ العينُ من الرقادِ ... حظًّا إلى تغلية المنادى

فَسَحَتْ جنوبُنا المضاجعا ... ولم أكن للنوم قبل طائعا

ثُمَّةَ قمنا والظلامُ مُطرِقُ ... والطير فى أوكارها لا تنطِقُ

وقد تبدّى النجمُ فى سوادهِ ... كحُلّةِ الراهبِ فى حدادهِ(2)

وقال يا قومِ اسمعوا كلامى ... لا تُشرِعوا ظلماً إلى ملامى

فجاءنا بقصّةٍ كذّابهْ ... لم يفتح القلبُ لها أبوابهْ

كعُذرِ العِنّينِ(3) يوم السابع ... إلى عروسٍ ذاتِ حظٍّ ضائعِ

قال اشربوا فقلتُ قد شربنا ... أتيتنا ونحن قد سكرنا

فلم يزل من شأنه منفردا ... يرفع بالكأس إلى فيه يدا

والقومُ من مستيقظٍ نشوانِ ... أو غارقٍ فى نومهِ وسْنانِ

كأنه آخرُ خيلِ الحلْبهْ ... له من السُّوّاس ألفُ ضربهْ

مجتهدا كأنه قد أفلحا ... يطلع فى آثارها مفتحا

❁

فاسمعْ فإنّى للصَّبوح عائبُ ... عندى من أخباره العجائبُ

---

(١) تعطعطوا : ضجوا وأجلبوا . بدر : أسرع . العى والحصر : السكتة وعدم القدرة على الكلام .

(٢) الحداد : لبس السواد .

(٣) هو من لا يأتى النساء عجزا ؛ وفى الديوان ، فعذر العنين وفسر « عذر » بمعنى اتخذ طعام السرور ، وهو كله خطأ وتحريف .

إذا أردتَ الشربَ عند الفجرِ — والنجمُ فى لُجَّةِ ليلٍ يَسْرِى
وكانَ بَرْدٌ بالنسيم يرتعِدْ — وريقهُ على الثنايا قد جَمَدْ
وللغلام ضَجْرَةٌ وَهَمْهَمَهْ — وشتمةٌ فى صدرِه مجمجمة(١)
يمشى بلا رجل من النعاس — ويدفقُ الكأسَ على الجلاَّس
ويلعنُ المولى إذا دعاهُ — ووجهــه إن جاء فى قفاهُ
وإن أحسَّ من نديمٍ صوتا — قال عجيبا : طعنة ومَــوْتا
وإن لم يكنْ للقوم ساقٍ يعْشَقُ — بجفنهُ بجفنه مُــدَبَّقُ
ورأسُه كمثل فَرْقٍ قد مُطِرْ — وصُدْغه كالصولجان(٢) المنكسِرْ
أعجلَ عن مسواكه وزينتِهْ — وهيئةٍ تنظر(٣) حُسْنَ صورته
فجاءهمْ بفَسْــوَةِ اللحاف — محمولةٍ فى الثوب والأعطافِ
كأنما عضَّ على دماغِ — مُتَّهمِ الأنفاس والأرفاغ
فإن طردتَ الكأسَ بالسَّنَّوْرِ(٤) — وجئتَ بالكانون والسَّمَّوْرِ
فأىُّ فضلٍ للصَّبوح يُعْرَفُ — على الغَبُوق والظلامُ مُسْدِفُ
يُحِسُّ من رياحــه الشمائلِ — صوارمًا تُرْسُبُ فى المفاصلِ

⁂

وقدْ نَسيتُ شررَ الكانونِ — كأنه نثارُ ياسمــــين
يرمى به الجمرُ إلى الأحداقِ — فإن ونى قرْطَسَ فى الآماق
وتركَ النِّياطَ بعدَ الخمْدِ — ذا نقطٍ سُودٍ كجلْدِ الفهدِ
وقطعَ المجلسَ فى اكتئابِ — وذِكْرِ(٥) حرقِ النارِ للثياب
ولم يزل للقوم شغلاً شاغلا — وأصبحتْ جبابُهمْ مناخلا

(١) أى غير ظاهرة .
(٢) الصدغ . ما بين الأذن والعين . الصولجان العصا المنعطفة الرأس
(٣) أى تكون نظيراً لها
(٤) لبوس كالدرع
(٥) معطوف على « شرر » السابقة أو على اكتئاب

حتى إذا ما ارتفعت شمسُ الضُّحَى   قيلَ فلانٌ وفلانٌ قد أتى
وربما كان ثقيلاً يُحْتَشَمْ   فطوّلَ الكلامَ حيناً وجَشِمْ (١)
ورُفِعَ الريحانُ والنبيذْ   وزال عنا عيشُنا اللذيذْ

⁂

ولستَ فى طولِ النهار آمنا   من حادثٍ لم يكُ قبلها كائنا
أو خبرٍ يُكرَهُ أو كتاب   يقطعُ طيبَ اللهوِ والشرابِ

⁂

فاسمع إلى مثالب الصبوح   فى الصيف قبل الطائر الصَّدُوح
حين حلا النومُ وطابَ المضجعُ   وانحسرَ الليلُ ولَذَّ المهجَعُ
وانهزمَ البقُّ وكُنَّ رُتَّعاً   على الدماء واردات شُرَّعاً
من بعد ما قد أكلوا الأجسادا   وطيَّروا عن الورى الرُّقادا
فقرَّبَ الزادُ إلى نيام   أنْسُهُمُ ثقيلةُ الكلامِ
من بعد أن دبَّ عليه النَّمْلُ   وحيةٌ تقذف سُمًّا صلٌّ
وعقربٌ ممدودةٌ قتَّالَهْ   وجُعَلٌ (٢) وفارةٌ بوّالَهْ
والمغنّى عارضٌ فى حَلقِهِ   ونفسُه قد قدحتْ فى حِذقه

⁂

وإن أردتَ الشربَ عند الفجر   والصبحُ قد سلَّ سيوفَ الحرِّ
فساعةٌ ثم تجيكَ الدامغهْ   بنارها فلا يَسُوغُ سائغهْ
ويسخنُ الشرابُ والمزاجُ   ويكثُرُ الخلافُ والضجاجُ
من معشرٍ قد جُرِّعوا حميما   وطعموا من زادهم سَمُوما
وغَيَّمَتْ أنفاسُهم أقداحهمْ   وعذّبتْ أقداحُهم أرواحَهم

---

(١) جشم . تكلف على كره
(٢) هى الخنفساء

وأُولِعُوا بالحَكِّ والتفرُّكِ ... وعصب الآباط مثل المرتك[1]
وصارَ ريحانُهم كالقَتِّ ... فَكُلُّهم لـكُلِّهِمْ ذو مَقْتِ
وبعضُهم يمشى بلا رجلَيْنِ ... ويأخذ الكأس بلا يديْنِ
وبعضُهمْ محمرَّةٌ عيناهُ ... من السَّمُوم محرقٌ خدَّاهُ
وبعضُهمْ عند ارتفاع الشمسِ ... يحِسُّ جُوعًا مُؤلِمًا للنفس
فإنْ أسَرَّ مابه تهوَّسَا ... ولم يُطقْ من ضعفه تنفسًا
وطافَ فى أصداغِهِ الصُّدَاعُ ... ولم يكنْ بمثلِهِ انتفاعُ
وكثُرَتْ حِدَّتُهُ وضجَرُهْ ... وصار كالحُمَّى يطير شررُهُ
وهمَّ بالعربدة الوحشيَّهْ ... وصرَفَ الكاساتِ والتحيَّةْ
وظهرتْ مَشَقَّةٌ فى حَلْقِهِ ... وماتَ كلُّ صاحبٍ من فرقِهِ
وإن دعا الشَّـقىُّ بالطعامِ ... خبَّطَ جفنيه على المنامِ
وكلما جاءتْ صلاةٌ واجبهْ ... فسَا عليها فتولتْ هاربهْ
فكدَّر العيشَ بيومٍ أبلقِ ... أقطارُه بلهـوِهِ لم تلتقِ

⁂

فمن أدامَ للشقاء هـذا ... من نعـله والتذه التذاذا
لم يُلْفَ إلا دنسَ الأثوابِ ... مهوَّسا مهوِّسَ الأصحاب
فازدادَ سهواً وضنًى وسقما ... ولا تراهُ الدهرَ إلا فَدْما[2]
ذا شاربٍ وظُفُرٍ طويل ... ينَغِّصُ الزادَ على الأكيل
ومقـلةٍ مُبْيَضَّةِ المآقى ... وأذُنٍ كخِفَّةِ الدباقِ
وجسدٍ عليه جلدٌ من وسخْ ... كأنه أشربَ نفطًا أو لُطِخْ
تخالُ من تحت إبطه إذا عرِق ... لحيةَ قاضٍ قد نجا من الغرَقْ

---

(١) اسم دهن .
(٢) الفدم : الثقيل الغليظ

وريقهُ كمثل طوقٍ من أَدَم[1] وليس من ترك السؤال يَحْتشِم

فى صدره من واكف وقاطرِ كأثرِ الذّرْقِ على السكنادر[2]

هذا كذا وَما تركتُ أكثرُ فَجرّبوا ما قلتهُ وفكّروا

انتهت الأرجـــــوزة

---

(١) الأدم : الجلد .

(٢) الواكف : السائل. الزرق . خرء الطائر. السكنادر ، جمع كندرة ، وهى مقعد البازى يهيأ له من خشب .

خاتمـــة

انتهى بحمد الله وتوفيقه وعونه طبع كتابنا « رسائل ابن المعتز »

ونسأل الله عليه حسن الجزاء وشرف المكافأة وأن ينفع به الأدب والأدباء فهو وحده

ولى التوفيق والسداد ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

كتب ومؤلفات للناشر

١ — شرح البديع لابن المعتز طبع عام ١٩٤٥

٢ — وحى العاطفة ديوان شعر « « ١٩٣٦

٣ — ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان تحت الطبع

٤ — بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى فى ٦٠٠ صفحة — تحت الطبع

٥ — نشيد الصحراء قصة الحب والبطولة فى حياة توبة الخفاجى وليلة الأخيلية تحت الطبع

٦ — المقامة الخفاجية للعالم الكبير الخالد نافع الخفاجى م عام ١٩١٢ م بتعليق الناشر تحت الطبع

٧ — ابن هانىء شاعر المعز الفاطمى — تحت الطبع

٨ — ألحان الشباب ، ديوان شعر

٩ — ديوان الشاعر الموهوب نافع الخفاجى م عام ١٩٤٠ نشر وشرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى

١٠ — دراسات فى الأدب والنقد والبيان

فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

أخطاء مطبعية

الصفحة	الكلمة	الصواب
٢٢	وثنيْنِ	وثنيْنَ
٢٣	نعب ء	نعبْ
٢٦	أربيت	أربيت
٢٩	وأحرَّه	وأحرُّه
هامش ٣٣	مقارف	معارف
٣٦و٣٧	الضيف	الصيف
٥٣	نصيحة	نصيحة (٣)
	غبتَ	غبت
١٠٧	وقال هلاَّ	قال ألا
١٠٧	تنفسُ	تنفسَ
١١٢	لم بك قبلها	لم يك قبل



لرسائل ابن المعتز

قصائد وقطع

خلا منها ديوانه المطبوع

وقال :

أشكو إلى الله هـوى شادن أصـبح فى هجرىَ معذورا
إن جاء فى الليـل تجلى وإن جاء صـباحا زاده نورا
فكيف احتال إذا زارنى حتى يكون الأمر مستورا[١]

وقال[٢] :

الآن زاد على عشر بواحـدة من بعد أخرى وشاب الحب بالخُدَع
وجاوب اللحظُ منه لحَظَ عاشقه وجرّر الوعد بين اليأس والطمع

وقال[٣] :

إذا ما جحدت الحبَّ قالت عواذلى فمالك تبكى ، دمع عينيك أصدق
شقيتُ — كمن يشقى — بريم أحبهُ على وجهه نور من الحسن يشرق

وقال[٤] :

قالت : بليتَ ، بحق جسمىَ أن يبلَى ، وهل أبقيت من جسمى ؟
إن الرسـول أشاع قولكَ لى إياكَ أن تزداد من علـم

وقال ، يرثى أباه من قصيدة طويلة فى ديوانه المخطوط :

ربَّ حتف بين أثناء الأمـلْ وحياة المـرء ظل ينتقلْ
أين من يسلم من صرف الردى حكم الموت علينا فعـدل
وكأنا لا نرى ما قد نرى وخطوب الدهر فينا تنتصـل
إنَّ للكاملِ فى ذا حفرةً سوف أبكيه بأطراف الأسـل
ونرى القتـل بقاء ثانيا ونرى المـوت قبيحا بالرجل
إن يكن خضّـبه أعداؤه بدم فالدم حنّاء البطلْ

---

(١) ٢٢٩ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٢) ٢٣٤ المرجع .
(٣) ٢٣٥ « .
(٤) ٢٤٢ « .

ولقد خلف من بعدهمُ لهمُ صلَّ الأعادى أىَّ صلّ
فرويدا بظلامٍ صبحه قبهر الأيام والدهر دول
أن مفتاح الذى تطلبه بيد المقدور فاصبر واتكل
فرغ الله من الرزق ومن مدة العمر ومن وقت الأجلْ

وقال يرثيه أيضا من قصيدة طويلة فى ديوانه المخطوط :

نبه السيف على واتريه حيى الجهل ومات السرارُ
لو به أقتل كل قريب وبعيد لم ينم لى ثار
مطلته النصلَ منى سنٌّ لم تطلْ بى نخطاها قصار

وقال يصف أرضة أكلت له كتابا :

تثنى أنابيب لها فيها سَبَل مثل العروق لا ترى فيها خلل

وهو مقلوب قول ابن الرومى يهجو مغنية :

فإذا غنت ترى فى حلقها كل عرق مثل بيت الأرضه(١)

وكتب إلى أبى الطيب القاسم بن محمد النميرى :

يا أيها الجافى ويستجفى ليس تجنيك من الظرف
إنك فى الشوق إلينا كمن يؤمن بالله على حرف
محوت آثارك من ودّنا غير أساطيرك فى الصحف
فإن تحاملت لنا زورة يوما تحاملت على ضعف

وهو على قول أبى نواس :

صحت علانيتى له وأرى دين الضمير له على حرف(٢)

وقال فى القاسم بن عبيد الله لما عرض ليخلف أباه :

قلم ما أراه أم فلك يجـ ـرى بما شاء قاسم ويشير

---

(١) ١١١ و ١١٢ / ٢ زهر — وبيت ابن المعتز من قصيدة طويلة فى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء وسيأتى بعضها .

(٢) راجع ١٢٩ و ١٣٠ / ٢ زهر .

خاشع فى يديه يلثم قرطا سا كما قبّل البِساطَ شكور
ولطيف المعنى جليل نحيف وكبير الأفعال وهـو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حتـ ف وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالدجى نهارا فما أد رى أخط فيهنّ أو تصوير
وكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى إلى العلا ويصير
عظمت منة الإله عليـه فهناك الوزير وهو الوزير(١)

وقال :

لا شيء يُسْلِى همى سوى قدح تدمى عليه أو داج إبريق
فى يوم غيم ترجى سحائبـه برق ابتسام ورعد تصفيق(٢)

وكان أحمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم المعتز بقوم سألوها أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتا من النهار فأجابت أو كادت تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل الخبر بى جلست فى منزلى غضبان لما بلغنى عنها ، فكتب إلىّ ابن المعتز ، وله ثلاث عشرة سنة :

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة عنها يقصر من يحفى وينتعـل
سربلتنى حكمة قد هذبت شيمى وأجّجتْ نار ذهنى فهى تشتعل
أكون إن شئت قسّا فى خطابته أو حارثا(٣) وهو يوم الحفل مرتجل
وإن أشأ فكزيد(٤) فى فرائضه أو مثل نعمان(٥) لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضـيا أخا فطن أو الكسائى نحويا له علل
تعلو بداهة ذهنى فى مراكبها كمثل ما عرفتْ آباءَ الأول

---

(١) ١٤٤ / ٢ زهر .
(٢) ١٦٤ / ٢ » .
(٣) هو الحرث بن حلزة اليشكرى الشاعر الجاهلى ومن أصحاب المعلقات . وتوفى عام ٤٣ هـ
(٤) زيد بن ثابت الأنصارى كاتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) هو أبو حنيفة م سنة ١٥٠ هـ .

وفى فمى صارم ما سلّه أحد   من غمده فدرى ما العيش والجذل
عقباك شكر طويل لا نفاد له   يبقى بجدته ما أطّت الإبل (١)

وقال فى القاسم بن عبيد الله :

إذا ما مدحناه استعنّا بفعله   فنأخذ معنى قولنا من فعاله (٢)

وقال :

وغنّت فأغنت عن المسمعين   وارتجّ بالطرب المجلسُ
محاسنها نزهـــة للعيون   ومعرِضها كل ما تلبس

أخذه كشاجم فقال :

كل اللباس عليها معرِضٌ حسن   وكلُّ ما تتغنّى فهو مقترح (٣)

وقال وذكر المرآة :

فبيّنتنى لى كلما رمت نظرة   وناصحتِنى من دون كل صديق
يقابلنى منك الذى لا عدمتهُ   بلجّة ماء وهو غير غريق (٤)

وقال يرثى عبيد الله بن سليمان بن وهب :

يا ابن وهب بالكره منى بقيتُ   عجبى يوم متَّ كيف حييتُ
إنما طيبُك الثناء الذى خلّـ   ـتَ لا مِسْكُ نعشك المفتوتُ
واختصرت الطريق بعدك للمو   ت فلاقيته ولست أفوت
كيف يبقى على الحوادث حىٌّ   بيد الدهر عوده منحوت (٥)

وقال يرثيه أيضاً [والبيتان فى الديوان] .

---

(١) ٢٦٧ / ٢ زهر ، ١٣٣ / ١ معجم الأدباء نشر مرجليوث .
(٢) ٢٧٦ / ٢ زهر .
(٣) ٣٠ / ٣ » .
(٤) ٣٢ / ٣ » .
(٥) ٨٥ و ٨٦ / ٣ زهر .

ذكرت عبيد الله والترب دونه ... فلم تحبس العينان منى بكاهما
وحاشاه من قول سقى الغيث قبره ... يداه تروّى قبره من نداهما

وهذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة ... بإسقائها قبرا وفى لحده البحر(١)

وقال يرثى أبا الحسين بن ثوابة :

ليس شىء لصحة ودوام ... غلب الدهر حيلة الأقوام
وتولى أبو الحسين حميدا ... فعلى روحه سلام السلام
حين عاقَدْتُهُ على الحفظ للعهـ ... ـد وصافحته بكف الذمام .
واصطفته دون الأخلاء نفسى ... كاصطفاء الأرواح للأجسام
كان ريحانة الندامى وميزا ... ن القوافى شعرا وبحر كلام
ومكان الوهم الذى لا يرى الشـ ... ـك ولا يستغيث بالأوهام
سامر الوحى فى القراطيس لا تحـ ... ـبسُ عنه أعنة الأقلام
فإذا ما رأيته خلت فى خديـ ... ـه صبحاً منقباً بظلام
نفسُ صبرا لا تجزعى إن هذا ... خُلُق من خلائق الأيام(٢)

وقال يهجو على بن بسام(٣) .

من شاء يهجو عليا ... فشعره قد كفاه
لو أنه لأبيه ... ما كان يهجو أباه(٤)

وقال :

---

(١) ٨٦ / ٣ زهر .
(٢) ٨٨ / ٣ » .
(٣) شاعر هجاء مجيد توفى سنة ٣٠٢ هـ .
(٤) ٩٠ / ٣ زهر وهى فى الديوان .

غِلالة خـــده صبغت بورد ونون الصدغ معجمة بخال[١]

وقال يرثى المعتضد :

قضوا ما قضوا من أمرهم ثم قدَّموا إماما إمام الحق بين يديه
فصلّوا عليه خاشعين كأنهم صفوف قيام للسلام عليه[٢]

وقال يرثيه :

قالت شريرة ما لجفنك ساهراً قلقاً وقد هدأت عيون النوَّمِ
ما قد رأيت من الزمان أحلَّ بي هذا وتحت الصدر مالم تعلمي
يا نفس صـــبرا للزمان وريبه فهو المليء بما كرهت فسلّمي
إن الذى حاز الفضائل كلها هو ذاك فى قعر الضريح المظلم
أما السيوف فمن صنائع بأســه لولاه لم يَرْوَيْنَ من سفك الدم
وكأنّ أحداث الزمان عبيده فتى يؤخرهنَّ لا تتقـــــدم
يقظان من سِـنة المضيّع قلبه ومعوَّل للمُعْوِل المتظلم
يرعى الضغائن قبل ساعة فرصة فإذا رآها أمكنت لم يحجم
كم فرصة تُركتْ فصارت غصة تشجى بطول تلهفٍ وتندّم
ولرب كيد ظل يسجد بعدها فى بشر وجـــه مطلق متجهم
وهى المنايا إن رمـــين بنبلها يرمين فى نفس الأجلّ الأعظم
لله درك أى ليث كتيبة والخيل تعثر بالقنا المتحطم[٣]
ولقد عمرت ولا حريمَ معاندٍ حرمٌ ولا الإسلام بالمستسلم[٣]

---

(١) ١٥٥ / ٣ زهر . نثر البيت بعض الكتاب فقال : أعجمت يد الجمال نون صدغه بخال (٣/١٥٥ زهر) . والبيت فى الديوان ص ٢٤٣ طبعة بيروت . ويروى معجون بدل : معجمة (٣/١٦٥ زهر) .
(٢) ١٩٩ /٣ زهر .
(٣) ١٩٩ و ٢٠٠ / ٣ زهر .

وقال المعتضد يعزيه بابنه هرون :

يا ناصر الدين إذا هدت قواعده ... وأصدق الناس فى بؤس و إنعام
وقائد الخيل مذ شدت مآزره ... مذللات بإسراج و إلجام
كأنهن قنا ليست لها عقد ... يهزها الزجر فى كرٍّ وإقدام
قُبٌ كطى ثياب القصر مضمرة ... تقرب النار بين البيض والهام
وسائس الملك يرعاه ويكلؤه ... إذا علا الغمض فى أجفان نوّام
تحوى أنامله الدنيا لصاحبها ... ونصله من عداه قاطر دامى
كالسهم يبعثه الرامى بصفحته ... يلقى الردى دونه والفوق للرامى
لا يشتكي الدهر إن خطب ألمّ به ... إلا إلى صعدة أوحد صمصام
صبرا فدينناك إن الصبر عادتنا ... وإن طوينا على حزن وتهيام
فبادر الأجر نحو الصبر محتسبا ... إن الجزوع صبور بعد أيام [١]

وقال :

يا رب جود جرّ فقر امرئ ... فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرا مالك واستبقه ... فالبخل خير من سؤال البخيل [٢]

وهو شبيه بقول علقمة :

والجود نافية للمال مهلكة ... والبخل مبق لأهليه ومذموم [٣]

ولمسلم :

ما أعلم الناس أن الجود مدفعة ... للذم لكنه يأتى على النشب [٤]

وقال يرثى بعض أهله :

أخى عليك الدهر مقتدرا ... والدهر ألأم قادر ظفرا

---

(١) ٢٠٠ / ٣ زهر والصواب أنها فى الموفق يعزيه بابنه هرون م ٢٧٠ هـ .
(٢) ٢٦١ / ٣ « .
(٣) ١٩١ مفضليات .
(٤) ١١٤ / ٤ زهر

ما زلت تلقى كل حادثة   حتى حناك وبيض الشعرا

فالآن هل لك فى مقاربة ؟   فلقد بلغت الشيب والكبرا

لله إخوان فقدتهم   سكنوا بطون الأرض والحُفَرا

أين السبيل إلى لقائهمُ ؟   أم من يحدث عنهم خبرا

كم مورق بالبشر مبتسم   لا أجتنى من غصنه ثمرا

ما زال يولينى خلائقه   وصبرت أوفيه وما صبرا

وعدوٌّ غيب طالب لدمى   لو يستطيع لجاوز القدرا

يورى زنادى كى يخادعنى   ويطير فى أثوابىَ الشررا[1]

وقال :

وإنى على إشفاق نفسى من العدا   لتسنحُ منى نظرة ثم أطرف

كما حُلِئَتْ عن برد ماء طريدةٌ   تمد إليه جيدها وهى تعزف[2]

وقال :

ومازلت مذشدت يدى عقد مئزرى   غناى عن الغير افتقارى إلى نفسى

ودل علىَّ الحمد مجدى وعفتى   كما دل إشراق النهار على الشمس[3]

وقال :

سعى إلى الدن بالمبزال ينقره   ساقٍ توشح بالمنديل حين وثب

لما وجاها بدت صفراء صافية   كأنما قُدَّ سير من أديم ذهب[3]

وقال :

---

(١) ٣١ / ٤ زهر وهى فى ديوانه المخطوط .

(٢) ٣١ و ٣٢ / ٤ زهر .

(٣) ٣٢ / ٤ زهر .

لبست صفرة فكم فتنت من أعين قد رأينها وعقول
مثل شمس الغروب تسحب ذيلا صبغته بزعفران الأصيل (١)

وقال :

دعتني إلى [داعي] الصبا ربة الخدر وألقت قناع الخز عن وضح الثغر
وقالت وماء العين يخلط كحلها بصفرة ماء الزعفران على النحر
لمن تطلب الدنيا إذا كنت قابضا عنانك عن ذات الوشاحين والشذر
أراك جعلت الشيب للهجر علة كأن هلال الشهر ليس من الشهر (٢)

وقال :

يا من كلفت بحبه كلفي بكاسات العقار
وحيـــاة ما في وجنتيـ ـك من الشقائق والبهار
وولوع ردفك بالترجـ ـرج تحت خصرك في الإزار
ما إن رأيت لحسن وجـ ـهك في البرية من نجار
لما رأيت الشيب من وجهي بما يحكي الخمار
قالت ذهبت بحجـــتي عـــني بحسن الاعتذار
يا هـــذه أرأيت ليـ ـلا مـــذ خلقت بلا نهار (٣)

وقال : وقد كتب أبو أحمد بن المنجم إلى أخيه أبي القاسم رقعة يدعوه فيها فغلط الرسول فأعطاها لابن المعتز فقرأها وعلم أنها ليست له فقلبها وكتب :

دعاني الرسول ولم تدعني ولـكن لعـلّ أبو القاسم (٤)

---

(١) ٣٢ / ٤ زهر .
(٢) ٤١ / ٤ « .
(٣) ٤١ و ٤٢ / ٤ زهر .
(٤) ٩٧ / ١٠ تاريخ بغداد طبعة سنة ١٩٣١ .

وقال :

فما تنفع الآداب والعلم والحجى ... وصاحبها عند الكمال يموت

كما مات لقمان الحكيم وغيره ... فكلهم تحت التراب صموت(١)

وقال فى الليلة التى قتل فى صبيحتها :

يانفس صبرا لعل الخير عقباك ... خانتك من بعد طول الأمن دنياك

مرت بنا سحرا طير فقلت لها ... طوباك يا ليتنى إياك ، طوباك

لكن هو الدهر فالقيه على حذر ... فرب مثلك تنزو بين أشراك

إن كان قصدك شرقا فالسلام على
شاطى الصراة(٢) ابلغى إن كان مسراك

من موثق بالمنايا لا فكاك له ... يبكى الدماء على إلف له باكي

فرب آمنة حانت منيتها ... ورب مفلتة من بين أشراك

أظنه آخر الأيام من عمرى ... وأوشك اليوم أن يبكى لى الباكي(٣)

وقال حين قتله :

وقل للشامتين بنا رويدا ... أمامكم المصائب والخطوب

هو الدهر الذى لابد من أن ... يكون إليكم منه ذنوب(٤)

وقال :

سقيا لظل زمانى ... ودهرىَ المحمود

ولى كليلة وصل ... قدّامَ يوم صدود(٥)

---

(١) ٩٧ و ٩٨ / ١٠ تاريخ بغداد.
(٢) كان فيها دار ابن المعتز (تاريخ بغداد) .
(٣) ٩٨ و ١٠٠ / ١٠ تاريخ بغداد .
(٤) ١٠٠ / ١٠ تاريخ بغداد .
(٥) ٢٢٦ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

وقال ابن المعتز :

ولقد وطئتُ الغيث يحملني طِرْفٌ كلون الصبح حين وَقَدْ
جَمَّاعُ أطرافِ الصوّار فما ال أخرى عليه إذا جَرى بأشدْ
يمشى فيعرض فى العنان كما صَدَفَ المُعَشَّقُ ذو الدلال وَصَدْ
فكأنه موج يذوب إذا أطلقته فإذا حبست جمد[١]

وقال :

وفتيان سَرَوْا والليل داج وضوء الصبح متهم الطلوع
كأن بزاتهم أمراء جيش على أكتافهم صدأ الدروع[٢]

وقال :

وغادر منى الدهرُ عَضْباً مهندا يفل شبا خصمى وقلبا مشيَّعا[٣]
ورأيا كمرآة الصناع أرى به
سرائر غيب الدهر من حيث ماسعى[٤]

أخذه[٥] من قول المنصور لابنه المهدى :

لا تبرمن أمرا حتى تفكر فيه فإن فكر العاقل مرآته ، يريه قبحه وحسنه .

ولما[٦] دُفن المنصور وقف الربيع على قبره فقال :

رحمك الله يا أمير المؤمنين ، وغفر لك ، فقد كان لك حمى من العقل ، لا يطير به الجهل ، وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأى ، كما ترى ظاهره .

---

(١) ٢٢٠ / ١ زهر الآداب نشر الدكتور مبارك ، الطبعة الثانية .
(٢) ٢١٩ / ١ » » .
(٣) ٥١ ديوان ابن المعتز طبع بيروت ، ص ٢٢٢ / ١ زهر الآداب .
(٤) ٢٢٣ زهر الآداب وليس هذا البيت فى ديوانه .
(٥) ٢٢٣ / ١ زهر الآداب .
(٦) ٢٢٣ / ١ زهر .

وقال :

ولجـــة للمنايا خضت غمرتها بصارم ذكر صمصامة خـــذِم

وقارح صبغ الخيلان دُهمته بِشُهْبَة كاختلاط الصبح بالظلم (١)

وقال :

نعتٌ رقطاء لا يحيا لرُقيتها لو قدَّها السيفُ لم يعلق به بلَلُ

تُلقى إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كُمُّ دِرْعٍ قدَّه بطَل (٢)

وقال ابن المعتز يمدح الشراب فى الصحو ويذمه فى المطر :

أنا لا أشتهى سماء كبطن الـ ـعيْر والشرب تحتها فى خراب

بين سقف قد صار مُنخل ماء وجـــدار ملقى وتل تراب

وبيوت يوقِّع الوكْف فيهن وإيقاعه بغـــير صواب

إنما أشتهى الصبوح على وجـ ـه سماء مصقولة الجلبـــاب

ونسيم من الصبـــا يتمشَّى فوق روض ندٍ جديد الشباب

وكأن الشمس المضيئة دينا رجلته حـــدائد الضُّرّاب

فى غداة وكأسها مثل شمس طلعت فى ملاءة من شراب

أو عروس قد ضُمخت بخلوق فهى صفراء فى قميص حباب

وغناء لا عـــذر للعود فيه بتندِّى الأوتار والمضراب

ونشاط الغلمان إن عرضت حا جاتنا فى مجيئهـــم والذهاب

وجفاف الريحان والنرجس الغضّ بأيدى الخـــلان والأصحاب

---

(١) ٢٢٢ / ١ زهر .

(٢) ٢٢٢ / ١ زهر .

ذاك يوم أراه غنما وحظا   من عطاء المهيمن الوهاب (١)

وقال :

كم فرصةٍ ذهبت فعادت غُصَّة   تُشجى بطول تلهف وتندُّم (٢)

وقال :

إن للمكروه لذعة شر   فإذا دام على المرء هانا (٣)

وقال يصف شَرْبا :

كأن أباريق اللجين لديهم   ظباء بأعلى الرقتين قيام

وقد شربوا حتى كأن رءوسهم   من اللين لم يخلق لهن عظام

البيت الأول من قول علقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف   مفدَّمٌ بسبا الكتان ملثوم

أراد بسبائب فحذف .

والثانى من قول أبى نواس .

كأن أرؤسهم والنوم واضعها   على المناكب لم تخلق بأعناق (٤)

وقال :

كم من أخ لى لم يلده والد   وابن قربى كان هما ووجل

وقال :

ألا فاسقيانى والظلام مقوّضٌ

ونجم الدجى تحت المغارب يركض

---

(١) ٢٤٢ / ١ زهر الآداب .
(٢) ٢٥٨ / ١ « « .
(٣) ٢٨٣ / ١ « « .
(٤) راجع ٢٨٩ / ١ زهر .

كأن الثريا فى أواخر ليلها تفتح نَوْر أو لجام مفضض[١]

وقال يمدح الخضاب فأحسن :

وقالوا النصولُ مشيب جديدٌ فقلتُ الخضابُ شباب جديد

إساءة ذا بإحسان ذا فإن عاد ذا فهذا يعود[٢]

وقال[٣] :

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهةَ خدّيها بغير رقيب

فأمسيت فى ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر وخد حبيب

وهو شبيه بقول مسلم :

أجَدِّكِ ما تدرين أن رُبَّ ليلة كأنّ دجاها من قرونك ينشر

وقال :

أراجعتى فداك بأعوجىٍّ كقدح النّبع فى الريش اللؤام

بأدهم كالظلام أغرّ يجلو بغرته دياجير الظلام

ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق فى جو الغمام[٤]

---

(١) ٢٥ / ٢ زهر .

(٢) ١١٠ / ١ أمالى طبعة ١٩٢٦ .

(٣) ٢٢٧ / ١ أمالى . ويروى : وخمرين من راح وخد حبيب (٣/١٥ زهر) . وراجع شعراً لبعض الشعراء فى هذا المعنى فى ١٥ / ٣ زهر الآداب .

(٤) ٢٦ / ٢ زهر .

وقال من أبيات :

وسكرت لاأدرى أمن خمر(١) الهوى   أم كاسه أم فيه أم عينيه(٢)

وقال :

أشرْن على خوف بأغصان فضة   مقومـــة أطرافهن عقيقُ
سلاما كإسراء الندى تحت ليلهِ   أتى حيث لم يُرصَدْ عليه طَريقُ
وشكوى لو أن الدمع لم يُطْفِ حَرَّها   تولّدَ منها بَينهن حـــريق
بـــنى عمنا إنا فريق على العدى   نفـــلُ شَباهم والأنام فريق
فلا تلهبوا نار العـــداوة بيننا   فليس سواكم فى قريش صديق(٣)

وقال(٤) :

لهفى على دهـــر الصبا القصير   وغصنه ذى الورق النضـــير
وسكره وذنبـــه المغفور   ومرح القلوب فى الصـــدور
وطول حبل الأمـــل المجرور   فى ظل عيش ناعم غـــرير
قـــد أغتدى بين الدجى والنور   نمرح فى الأطواق والسيور

وقال(٥) :

غدوتُ فى ثوب من الليل خلق   بطارح النظرة فى كل أفق
ذى منسر أقْنَى إذا شكَّ خرق   ومقـــلة تصدقه إذا رمق

* كأنها نرجسة بلا ورق *

---

(١) رواية ديوان المعانى : سكر الهوى .
(٢) ٢٤٣ الأوراق ، ١/٢٣٧ ديوان المعانى ط ١٣٥٢ هـ
(٣) ٢٧٦ الأوراق وديوانه المخطوط .
(٤) ٢١٣ » » »
(٥) ٢١٨ الأوراق .

وقال(١) :

ومن عجب اللذاتِ يوم سرقته ... من الدهر لم يعلم به الدهرَ سالفُ

غدونا ولمَّا ترتق الشمسُ فى أفقها ... تسيل بنا قود الجياد الزواحفُ

تشق رياضا قد تفقَّطَ نورها ... وبلَّلها دمع من المزن ذارف

كأن عباب المسك بين بقاعها ... تفتحها أيدى الرياح اللطائف

وقال(٢) :

يارب ليل ضاع منى كوكبه ... مشتبه مشرقه ومغربه

قد اكتسى برد الشباب غيهبه ... والبرق فى حافاتِهِ يشبّبُه

كأنه والمزن ضاف هيدبه ... لابسة ثوبَ حداد تسحبه

وقام فيه رعده يؤنبه ... وقارح تركبه أو تجنِّبُهْ

يكاد لولا اسم الإله يصحبه ... تأكله عيونهم وتشربه

أضيع شىء سوطه إذ تركبه ... يعطيك من ورائه مايكسبه

وقال فى بستانه(٣) :

لله ماضيعتُه من الشجرْ ... أطفال غرس تُرتجى وتُنتَظَرْ

ومُعجَبات من بقول وزهر ... مُصفرَّةٌ قد هرمت على صِغَر

فى بقعةٍ لاسُقيتْ صوب المطر ... حالقة لنبْتها حلق الشعر

ضميرها نار وإن لم تستعر ... كم أكلت غبراؤها من الخُضَرْ

(١) ٢١٧ الأوراق .

(٢) ٢٤٦ الأوراق ، وديوانه المخطوط .

(٣) ٢٦١ الأوراق .

وقال[١] :

أفق عنك حانت كبرة ومشيبُ ... أما للتقى والحق مِنك نصيبُ
أيامن له فى باطن الأرض منزل ... أتأنس فى الدنيا وأنت غريب

وقال[٢] :

قد مُلِئَ الزمان بالعجائب ... وارتفع المنسم فوق الغارب
عُذْ بالكاف من رجاء كاذب ... واقعد فقد أعذرت فى المطالب

وقال يصف أرَضة أكلت كتابا له :

لم أبك ربعا مقفرا ولا طللْ ... ولا شبابا حان منه مرتحلْ
ولا حبيبا قطع الوصل ومَلّ ... لكن لعظْم حادث بى قد نزل
كنت امرأ عن الأنام معتزل ... علىّ سترٌ دون دمي مُنْسَدِلْ
على الذى يملك رزقى مُتكلْ ... لا راجياً لعطفةٍ من الدول
شغلى إذا ما كان للناس شغل ... دفتر فقه أو حديث أو غزل
فدب فيهن دبيباً قد أكل ... عصا سليمان فظلّ منجدلْ
يأكل أثمار العقول لا أكل ... وصيّرَ الكتب سحيقاً منسحِل[٣]

وقال[٤] فى النخل :

أعـــــددت للجار وللعفاة ... كُومَ الأعالى مُتسـامِيات
تُسقى بأنهـــــار مفجّرات ... على حصا الكافور فائضات

(١) ٢٨٠ الأوراق .
(٢) ٢٨١ »
(٣) ٢٦٦ الأوراق وديوانه المخطوط .
(٤) ٢٦٧ » » »

تظلُّ فيها الطير ناعمات على الغصون متجاورات

حتى إذا صرن إلى ميقات رحن من الجوهر موقرات

بالذهب الرطب مكللات وباليواقيت متـــوجات

وقال :

كلامه أخـدع من لحظهِ ووعده أكذب من طيفه(١)

وقال :

لا تعاتب إذا هـويـ ـتَ ولا تـكثر العِلَلْ(٢)

(١) ٢٢٥ الأوراق .

(٢) ٢٣٩ المرجع .

كلمة أخـــيرة

و بعد ، فهذا كتاب لا يعلم إلا الله مدى ما بذلناه فيه من جهد وتنقيب .

ونحن لن نتحدث عن هذا المجهود الكبير ، و إنما نترك هذا الأثر وحده ينطق بما أخذه منا من عناء فى البحث والمراجعة .

و بحسبنا أنه ينشر فيه لأول مرة فى تاريخ الثقافة العربية :

١ — الكثير من كتاب ابن المعتز فى الحكم والأخلاق « الفصول القصار » المفقود .

٢ — والكثير من رسائله فى الأدب وآرائه فى النقد التى ضاعت على مر الأيام .

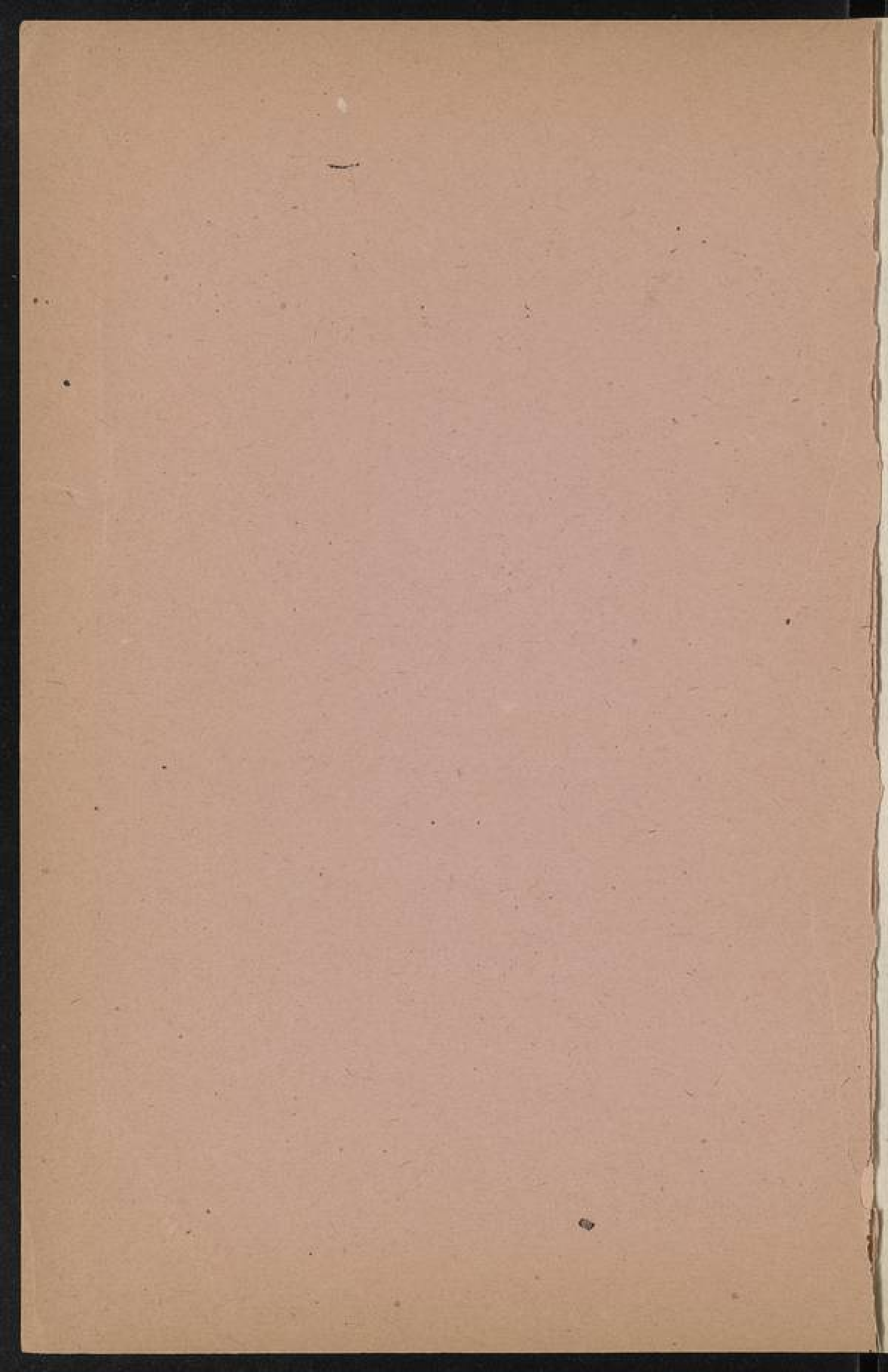
٣ — وشرح مفصل لأرجوزة ابن المعتز فى حياة الخليفة المعتضد وأعماله .

كما نشر فيه : رسالة ابن المعتز فى نقد أبى تمام ، وأرجوزته فى ذم الصبوح ، و بعض مقطوعات وقصائد من شعر ابن المعتز لم يسبق نشرها من قبل .

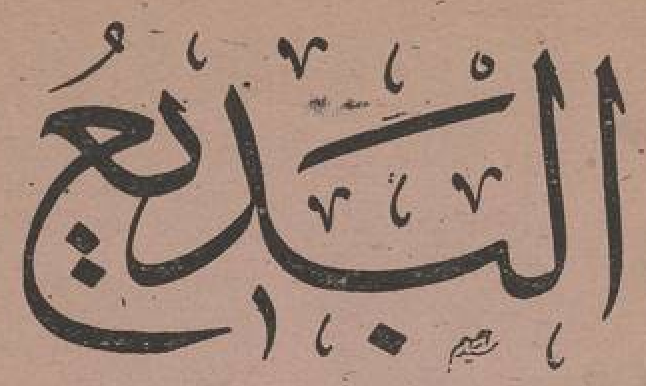
هذا كله مع ماتوخيناه من دقة المراجعة والتحليل والشرح والتعليق مع الإشارة إلى شتى المصادر التى جمعنا منها هذا الكتاب . ونحن نبتهل إلى الله أن يؤيد خطواتنا فى سبيل خدمة الثقافة والبحث والتراث الإسلامى الخالد وآداب لغة كتابه الحكيم ؟

١٥ / ٤ / ١٩٤٦

محمد عبد المنعم خفاجى



ظهر حديثاً :



لعبد الله بن المعتز الخليفة العباسى (المتوفى سنة ٢٩٦ هـ)

بشرح وتعليق

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

بكلية اللغة

تحت الطبع :

ابن المعتز

رسالة فى حياته وعصره وتراثه فى الأدب والنقد والبيان

تأليف

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

